طيف 2012

١٨

العد[illegible] عشر

تصدر عن مركز موارد أدب الأطفال

التواصل الكتابي
والتفاعل الشفهي

عن مسارات التأويل
واختلافات السياقات في
"الثعلب ابو البطات"

عرض لابحاث طلبة
جامعة بيرزيت في ادب
الاطفال

دلالات الصورة في
رسومات أدب الاطفال

صدر حديثا في أدب
الاطفال

طيف العدد

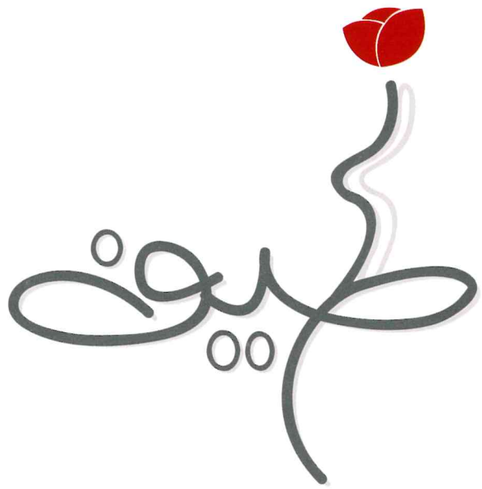

نشرة نصف سنوية تصدر عن مركز موارد أدب الأطفال
رام الله – فلسطين

ربيع 2012

مقدمة:

تُطلُّ طيف، هذه المرة، في ظل متغيرات عربية على الصعيدين السياسي والاجتماعي، وفي ظل عالم عربي يعيد صياغة خريطته من جديد، فإن أملنا يتمحور حول أن تنتهي هذه التغيرات إلى خدمة طفلنا العربي، وألا تحول دونه ودون حقوقه المشروعة والمكفولة، آملين بذلك أن ينبثق ويتجدد واقع جديد يكمل النقص، ويسد الثغرات في ظل رؤية جديدة، واعية وناهضة.

القضية الأساس هي أطفالنا، هي الجيل الناشئ، الذي لن تكون نهضة أو رقي دونه؛ فما يُزرع اليوم يُحصد غداً، وعليه فإن لفت الانتباه وتطوير البحوث المتعلقة به في آليات التنشئة وسُبل التعلم، مدخل رئيسي لا يمكن تجاوزه في مسيرة البناء. هنا كانت محاولتنا في تكريس مساحة للكتابة بما يتعلق في هذا العالم، وعليه جاء هذا العدد مُحمّلاً بدراسات، وبحوث، ومقالات وقراءات تخص أدب الأطفال.

لا يفوت طيف أن تنظر باهتمام ورضى إلى حملة القراءة الوطنية التي إن دلت على شيء، فإنها تدل على اهتمام متزايد بالقراءة وبعالم الكتب عموماً، وهو ما ينعكس على الإقبال المتزايد، سنة بعد أخرى، على المشروعات والفعاليات المتعلقة بالقراءة، ولا يعني هذا نهاية المطاف، بقدر ما هو دافع ومحفز لهمم القائمين على هذه المشاريع، سواء في تامر أو غيرها من المؤسسات الراعية والصديقة، للعمل المضني أكثر فأكثر.

لا يسعنا في النهاية إلا أن نؤكد أن طيف هي محاولة تسعى إلى الجمع بين النقد والرؤية، بين العرض والتحليل لما يدور في رحاب أدب الأطفال، وعليه فإننا نأمل من الخبراء والمتخصصين والمهتمين، أن يشاركوا في رفدها بإبداعاتهم، وأن يثروها بمعرفتهم، وإنتاجاتهم الفكرية والمعرفية؛ حتى تكون مرتكزاً فكرياً حقيقياً.

تحت شعار « نقرأ نفرح .. نبني»
اختتام حملة تشجيع القراءة في المجتمع الفلسطيني للعام (٢٠١١)

نجاحات وإنجازات جديدة

يُطلق المجتمع الفلسطيني، كل عام، حملة تشجيع عادة القراءة، تحت شعار تفرزه ظروف المجتمع، خلال الأعوام التي تتوالى عليه. يلائم والحاجات الوطنية، والثقافية، والسياسية للمجتمع، وبشراكة حقيقية مع مئات المؤسسات الثقافية، الأهلية والحكومية في فلسطين وخارجها. فتتبنى الحملة شعاراً سنوياً، وتتمحور فعالياتها حول هذا الشعار. ففي العام (٢٠٠٨) تبنت الحملة شعار «شعب واحد حكاية واحدة» وتمحورت الفعاليات والأنشطة حول الفلسطينيين والهوية، وما تحمله من جوانب متعددة. وفي عام(٢٠٠٩) تبنت الحملة شعار «القدس في ألف حكاية وحكاية» انسجاماً مع احتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية. في عام (٢٠١٠) تبنت الحملة شعار «نزرع النخيل حيث يقرأون» تجسيداً لدور مؤسسة تامر في توفير الأجواء التعلمية التشاركية. ولكل عام محور تتمركز حوله كل فعاليات حملة القراءة.

جاءت حملة تشجيع القراءة للعام (٢٠١١) تحت شعار «نقرأ، نفرح.. نبني»؛ فانعكست الفلسفة وراء الشعار في العدد الكبير من الفعاليات، في مسعىً لربط القراءة بالبناء المجتمعي؛ فأن نقرأ يعني أن نعرف أكثر، كون القراءة عملية متواصلة لإشباع حاجاتنا من المعرفة، والمعرفة ليست مقتصرة على قراءة النصوص فقط، بل بالتفاعل معها والبناء عليها. أن نقرأ يعني أن نفرح، نفرح بمتعة القراءة، نفرح بما تثيره القراءة فينا، نفرح لأن القراءة تفاعل ولعب واستمتاع، وهي عملية بناء، أيضاً، فمن خلالها نبني ونستكشف ذواتنا والعالم أيضاً، تنمي خيالنا، وأن نبني يعني أن نعمل ولا نقف مكتوفي الأيدي، بل نساهم في العمل، وكل حسب موقعه، فالعاملون/ات يبنون، والفلاحون والفلاحات يزرعون، والشباب يدرسون ويتطوعون في المجتمع، والكل يبني، والمعرفة تكون المدخل لعملية البناء.

أسبوع القراءة الوطني:

أطل أسبوع القراءة في العام ٢٠١١ بكثير من القراءة والفرح والبناء. بمشاركة ٢٨٦ شريك وطني معني بثقافة الطفل، تم تنفيذ(٧٠٩) نشاطاً وفعالية في مختلف المحافظات الفلسطينية، كما تنوعت الأنشطة التي نفذت، ما بين رواية للقصة، وأنشطة مسرح، ودراما، ورسم، وقراءة قصص، وأنشطة نقاش الكتب، التي انتشرت في المكتبات المجتمعية والمدرسية كلها في فلسطين. وبلغ عدد المستفدين من تلك الأنشطة(٢٦٧٠١) مشاركا ومشاركة. لقد وصلت الفعاليات إلى مختلف المدن والقرى والمخيمات، واستفاد من أنشطتها العديد من الفئات المجتمعية، وكان لذوي الحاجات الخاصة مشاركة واضحة.

صورة طفلة في مكتبة بلدية بيت جالا خلال أسبوع القراءة الوطني

لم تقتصر الأنشطة هذا العام على أسبوع القراءة، بل سبقته وتجاوزته، في كل من المكتبات المدرسية والمجتمعية الأعضاء في شبكة مكتبات أدب الأطفال، العديد من الأنشطة الشهرية، خاصة أنشطة نقاش الكتب التي تنظم بواقع نشاطين شهرياً في المكتبات والتي يبلغ عددها(١٢٤) مكتبة، هذا بالإضافة إلى اللقاءات الشهرية للمكتبيين/ات والتي تتناول كتاباً أو قضية ما تخص عملهم مع الأطفال، والتي تشكل في باكورتها رؤية عامة من دور مكتبات الأطفال في فلسطين.

ما يميز هذا العام عن الأعوام السابقة هو تمكن المؤسسة من الحصول على إصدارت «دار الفتى العربي» النادرة، والتي بلغت(٥٦) عُنواناً تم إحضارها من قطاع غزة. كما تم الحصول على كتب لغسان كنفاني تم إحضارها من مؤسسة غسان كنفاني، وأخرى تتناول قضايا الأطفال اللآجئين من مؤسسة الجنى، بالإضافة إلى خيرة كتب أدب الأطفال العربي الصادرة عن دار أصالة ودار الخياط الصغير، وجميع هذه المؤسسات تتواجد في لبنان.

وقد بلغ مجموع الكتب التي وزعتها مؤسسة تامر خلال هذا العام(٨٠) عُنواناً من كتب الأطفال واليافعين. وعلى غرار الأعوام الماضية سيتم استخدام الكتب الموزعة في الأنشطة المتنوعة التي تنظمها المؤسسة مع الأطفال في المكتبات المدرسية، والمجتمعية، والمراكز الإجتماعية، وخاصة نقاش الكتب. ومن ناحية أخرى فقد وزعت المؤسسة العديد من الكتب على مؤسسات ومراكز في الوطن العربي والعالم، بالإضافة إلى توزيعها(١٠٠) قرص مدمج من إصداراتها على مؤسسات شريكة في كل من مصر ولبنان، تحتوي هذه الأقراص كتبا بتقنية المسموع والمرئي الخاصة بالأطفال من ذوي الإحتياجات الخاصة.

صورة في مكتبة الحكايات – القدس خلال حملة ابي اقرأ لي

قيل في الحملة (٢٠١١)

لاقت الحملة تجاوباً واستحساناً من قبل المشاركين فيها، سواءً على صعيد الأطفال، أو على صعيد الأهل والمهتمين بالأمر، حيث تقول الطفلة ضحى عيسى ابنة الإثني عشر عاماً، من مركز طلائع الخضر، أنها انجذبت لأسبوع القراءة، وناقشت خلاله قصة "الخراف لا تأكل القطط"، رغم مرضها في فترة أسبوع القراءة، إلا أن حرصها على الاستمتاع في أنشطة أسبوع القراءة، جعلها تصر على حضور جميع الأنشطة.

تقول أم محمد الرجبي، وهي إحدى الأمهات المشاركات من خلال مكتبة التعاون الخليل- فرنسا، إن للفعاليات تأثير على شخصية ابنتها التي باتت تقرأ بطريقة أفضل، وعليه فقد جاءت للمشاركة إيماناً بالمردود الإيجابي، وانعكاسه على الأطفال. كما ذكرت إحدى معلمات مدرسة "دارس عطية" أن هذه الفعاليات تساهم في اكتشاف قدرات، ووعي هائل عند الطلبة، وتخلق لهم مناخاً للإبداع والتنمية.

أبي اقرأ لي ٢٠١١

أطلقت مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي هذه الحملة للعام الثاني على التوالي وتسعى من خلالها إلى تعزيز عادة القراءة والكتابة في المجتمع الفلسطيني. وبما أن العمل يجب أن يكون مع كافة فئات المجتمع الفلسطيني، فكان التوجه لفئة الآباء، فقسوة الحياة اليومية تمزق النسيج الاجتماعي، وتسرق الآباء من متعة القراءة لأبناءهم، وعلى هذا الأساس كانت المبادرة تهدف لإعادة لُحمة النسيج الاجتماعي عبر الكتاب والقصص.

«إن تفاعل الآباء والمجتمع مع الحملة في العام السابق، زاد الإصرار على إطلاق الحملة لهذا العام، وبالتركيز في مواقع جديدة. حيث انطلقت الحملة يوم (٢٦) تشرين الثاني ٢٠١١ في كافة المناطق الفلسطينة، اجتمع فيها الآباء والأبناء سوية؛ ليحلموا ويبنوا عوالم من قصاصات ورق. كان هذا النشاط بمثابة خطوة في طريق بناء العلاقة بين الآباء والأبناء، حيث تجمعوا، وفي عالم من الورق بدؤوا يقصون، ويلصقون، ويسبحون في الخيال. يتحاورون أحيانا، ويتاملون أحياناً أخرى. ولم تنته العلاقة بانتهاء الحملة؛ فالكثير منهم حملوا أوراقهم ليكملوا ما بدؤوه في البيت، كما أن التفاعل استمر للأيام التالية حيث زار العديد من الآباء أبنائهم في المدارس، والمكتبات وقرؤوا لهم القصص».

لقد شارك (٥٠٩) من الآباء في الحملة بشكل مباشر، ونُفذ (٢٤٠) نشاطا وفعالية خلال أيام الحملة الثلاث، كما شارك ما يقارب (٦٩٩١) مشاركا ومشاركة من الأطفال والفتيان والفتيات بشكل مباشر. وتعتبر المؤسسة هذه المشاركات نجاحاً تميز عن العام الأول للحملة.

«يقول الأب فؤاد الحوالي: «إن هذا النشاط قد أثار فيَّ مشاعر متناقضة وغريبة، كيف أن شيئا بسيطا كرواية القصة تكون قادرة أن تجعلني أعيش مع أبنائي في عالمهم، أحس بنظرة الفرح والسعادة في عيونهم، لأنني بينهم أرى ابني منصتاً، مستمتعاً ومحاوراً جيداً، هذا النشاط يقربنا من أبنائنا، ويسهل طريق الحوار فيما بيننا».

مجموع اطفال في مكتبة بلدية بيت فجار خلال حملة ابي اقرأ لي

أنا تبرعت بكتاب:

اختتمت مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي هذا العام ٢٠١١ بحملة «أنا تبرعت بكتاب»، وتهدف الحملة إلى تطوير وإغناء المكتبات الجديدة، حيث يقوم المتطوعون والمتطوعات، من فرق تامر في المناطق، بتنظيم هذه الحملة، فينطلقون بمجموعات لزيارة البيوت؛ بهدف جمع الكتب والتبرع بها لمكتبات جديدة، فهي تجسيد لفكرة التطوع ومشاركة الشباب/ات في تطوير المكتبات، وإغناء مكتبات قائمة بمزيد من الكتب.

في سياق تعميق القراءة بشكل أوسع، وتعزيز التبرع والتهادي بالكتب بين الناس، تم اطلاق حملة أنا تبرعت بكتاب في (٢٤) كانون الأول؛ وما ميز هذه الحملة، في هذا العام، هو أن المتطوعين/ات كانوا يتبرعون للناس بالكتب، ويأخذون مقابل ذلك كتبا أخرى، وبالتالي كانت الكتب تتنقل بين الناس، حيث يستطيع كل متبرع بكتاب أن يكتب على الكتاب من خلال مُلصق خاص أن هذا الكتاب هدية منه إلى شخص آخر .

إن حملة «أنا تبرعت بكتاب» تجسد معاني جميلة في المجتمع الفلسطيني، تبادل الكتب والتبرع بها للآخرين، وقد شارك بحملة «أنا تبرعت بكتاب» (٥٣٨) متطوعا متطوعة من مختلف المناطق، واستطاعوا تبادل وجمع ما يقارب من (٣٠٢٩) كتابا وقصة.

لا يعني تحقيق كل هذه الإنجازات أن هناك نقطة وصول؛ فالعمل

ملصق حملة انا تبرعت بكتاب ٢٠١٢

مستمر، طالما هناك أطفال يكبرون، ومجتمع يسير في نهضته، ولذلك فإن المؤسسة، وفي مسعاها هذا، ترى دوماً أفقاً لتطوير مشاريعها والنظر للواقع والمتغيرات الاجتماعية والسياسية. وعليه فهي تسعى في إطار ذلك إلى العمل على تطوير، واتخاذ العديد من الخطوات والبرامج التي ستقوم بها، أهمها تعزيز الثقافة المجتمعية بمسألة القراءة، من خلال أفكار جديدة، كوضع الكتب والقصص في عيادات الأطفال والمستشفيات، وقد باشرنا العمل على هذا الأمر، حيث وضعت سلال فلسطينية الصنع، مليئة بالقصص في بعض عيادات أطباء الأطفال. لاقت هذه الكتب استحساناً من قبل الأطفال وذويهم.

مقالات في أدب الطفل

التواصل الكتابي والتفاعل الشفهي*

د.شريف كناعنة

الدكتور شريف كناعنة.

أبدأ بملاحظة: «كما يقولون كل إناء بما فيه ينضح»؛ فكل شخص ينطلق من خلفيته ومعلوماته. ملاحظاتي تأتي من حقل عملي في الأنثروبولوجيا. في البداية شعرت ببعض الضيق بسبب الخلط بين أنواع القصص؛ ففي حقل الفولكلور، فإن القصص الشعبية المختلفة لها أبواب، والحكاية في الحقل رسميًا لا تضم كل القصص الشعبية، الحكاية هي ما يسمى الحكاية الخرافية، وهي تساوي ما يسمى (fairy tale) باللغة الانجليزية، وهي من نوع "نص نصيص" و"جبينة" و"الشاطر حسن" وما شابه. هذه هي الحكاية والباقي قصص، بما فيها الطرفة، والنكتة، والملحمة، والسيرة الذاتية والسيرة الشعبية وغيرها. لا أعرف ما هو السبب في أن الناس الذين يهتمون بهذا الحقل لا يرجعون للكتب الأكاديمية؛ لتنظيم أعمالهم، بحيث يقدمون اللون المناسب في الإطار المناسب لأن كل لون له بيئته وناسه.

وفي قضية الاحتذاء بحذاء الغير. فأنا أحمل دكتوراه في علم الإنسان، حقل فرعي اسمه (Culture and Personality) "الشخصية والثقافة"، كيف تدخل الثقافة في تكوين شخصية الإنسان والمجتمع؛ لذلك فإنني في العادة أنظر للأمور من هذا المنظار. الآن، وإذا كانت الثقافة هي التي تقولب الشخصية، فإن من المؤكد أن المرأة الأولى في حياة الطفل تقولب شخصية الإنسان، لذا يجب التنبه إلى ماهية الحكايات التي نحكيها للأطفال في المرحلة الأولى من حياتهم لغاية (٧ – ١٠) سنوات، خصوصاً أن الطفل يميل إلى التماهي مع شخصية بطل القصة. فعندما يسمع الطفل قصة يرى نفسه في قالب البطل ويعيش القصة من خلال البطل، مما يقولب شخصية الطفل. وهناك جزء كبير من شخصية الطفل تأتي من نوع الأبطال الذين يتقمصهم الطفل من الحكاية. فإذا كان هذا الكلام صحيحاً، وكنّا على اقتناع تام بثقافتنا، فيجب أن لا نحكي لأطفالنا تحت سن (٩ – ١٠) سنين قصصاً أجنبية أوروبية أو غربية، بل نعطيهم قصصنا نحن، لتنشئتهم على ثقافتنا، لأن هذه القصص نابعة من ثقافتنا. هذا إذا أردنا تنشئتهم على نمط شخصيتنا وفي حال رغبنا في أن نعيد إنتاج نفس الشخصية والثقافة. معظم القصص التي أجدها في السوق مستمدة من الغرب، لذا فليس من المستغرب أن تكون شخصية أطفالنا "عايمة". وأنا هنا لا أقول بأننا يجب أن ننغلق على العالم، لا، بل يجب أن يَطّلع أطفالنا على العالم الخارجي، لكن عندما يكبرون، وبعد أن تكون شخصيتهم قد تبلورت وأصبحت شخصية صامدة.

*. هذا المقالة عبارة عن مداخلة شفوية للدكتور شريف كناعنة، في ملتقى حكايا السنوي عام 2009، الذي ينظمه الملتقى التربوي، عمان – الأردن.

عندما كنت أفكر في هذا الإتجاه، خطر في ذهني تشبيه، وهو أن لدي حديقة وأزرع فيها أشجاراً مثمرة. عندما اشتري شجرة لزراعتها من المشاتل الإسرائيلية، بعد سنة أو سنتين يظهر الدود، ويمتد إلى العرق، والجذر ويقتل الشجرة. حتى أنني ذات مرة اقتلعت حوالي مائة شجرة خلال موسم واحد. وسألت الفلاحين الذين يعرفون بأمور الزراعة، فقالوا لي: "ازرع لوزاً مراً بدلاً منها، ومن ثم قم بتركيبه على الشجر الذي تريده"؛ فأصبحت أزرع لوزاً مراً، حين أريد زراعة مشمش! وأطفالنا كذلك يجب أن يكونوا لوزاً مراً، ومن ثم نقوم بتركيبهم ليصبحوا مشمشاً وخوخاً. ووجدت أن من أجمل الأنواع، ومن أجمل التشبيهات هو أنه إذا أردنا زراعة إجاص، وهي شجرة ضعيفة أمام الحشرات المحلية، فعلينا زراعة شتل زعرور من الجبل، ومن ثم تركيبه بإجاص، وفي هذه الحالة فقط لن يتمكن الدود من القضاء عليها على الإطلاق. وهذا يدفعنا لنجعل من أطفالنا زعروراً، ولوزاً مراً ، ومن ثم تحويلهم إلى إجاص، ومشمش وخوخ. أعود وأكرر: أنا لا أنادي بالانغلاق على العالم، لكن الإنفتاح يجب أن يأتي عندما تكون لدى الطفل الجاهزية لهذا الانفتاح.

أما قضية القصص الشعبية، التي أعمل عليها، فهي نوعان: الأول هو الحكاية الخرافية، وهي جميلة جداً وأحبها وأعمل عليها منذ(٣٠ – ٤٠) سنة. وإلى جانب هذا الحقل، أعمل على أنواع أخرى من القصص. فمنذ بداية الانتفاضة الأولى حتى اليوم أعمل على النكتة والأسطورة السياسية الفلسطينية، ولديّ سجل لتاريخ القضية الفلسطينية من (٨٧) حتى اليوم من خلال النكتة، والأسطورة المعاصرة وكرامات الشهداء. وبما أني أستاذ في جامعة بيرزيت فأنا "بغش شوي"، الطالب الذي يحضر لي قصة جديدة أعطيه علامات؛ فلقد وجدت بأن هذه أنجح طريقة لجمع القصص الشعبية، فهذه هي الأنواع من القصة التي أتفاعل معها.

القصة الخرافية مثل "نص نصيص" و"جبينة"، هذه هي قصة نسائية محضة تاريخياً؛ فإن المجتمع فصل بين الذكور والإناث، وكلما زاد الفصل بينهما اختلف فولكلور الذكور عن فلكلور الإناث في ذلك المجتمع. كما أن النساء يعشن في بيت العائلة مع الأطفال ويحكين نوع قصص، والرجال في الديوان يشربون قهوة سادة ويحكون قصص الرجال. قصص النساء هي القصص الخرافية (كان الأخوان جريم، أول من جمع القصص الخرافية في أوروبا بشكل ممنهج. كان هناك مجموعات قصص قبلها، لكنهم عملوا بشكل منظم ونشروا أول مجموعتين في (١٨١٠ و ١٨١٢). هذا النوع من القصص هو ما أسميه "القصص النسائية".

وماذا عن قصص الرجال؟ يميل الرجال إلى القصص التي تدّعي أنها واقعية وتاريخية، مثل الملاحم، والسّيَر، وقصص الحروب، والقصص البدوية، الغراميات، ابن الأمير الفلاني أحب بنت الأمير الفلاني. لماذا؟ لتكون قصة الحب سبباً في قيام حرب بين القبيلتين. وأجد أن من الخطأ الخلط بين هذين النوعين وإلا ضاع الإطار المناسب لنوع الحكاية أو القصة. أجد أن أجمل أدب في العالم هو الحكاية الخرافية، ولدي سبب قوي لذلك يكمن في مدى تطابق الحكاية مع عقل الطفل؛ بمعنى أن الحكاية الخرافية لها مستويان، عادة تُحكى في إطار العائلة حيث توجد مجموعة من الإناث من كل الأجيال، والأولاد حتى سن (١٠ – ١٢) سنة. ومعظم هذه القصص تعكس صراعاً بين النساء في مواقع مختلفة، وهذا ينطلق من العائلة الممتدة. فمثلاً الغولة، من تكون؟ معظم الوقت هي العمّة أخت الزوج. ولذلك فالمرأة تعلّم أطفالها من خلال الحكايات: "ديروا بالكم عمتكم غولة". ومن هو الشخص الجيد؟ هو الخالة! وهذه الحكاية قريبة من عقل الأطفال. وهذه القصص يقال أن بعضها يرجع إلى حوالي (٥٠٠٠) سنة. قسم منها يمكن أن تتبعه لمصر القديمة الفرعونية، وقسم لما بين النهرين؛ والأكثرية الساحقة أتتنا من الهند والصين، ومن هنا تفرعت باتجاهين: اتجاه لأوروبا واتجاه لإفريقيا. وعودة للأخوين جريم؛ كل قصة لديهم نجد لها قصة مشابهة لدينا. فسندريلا التي "نشحدها" بشكلها الأوروبي، لدينا عشرات القصص هي صيغ من سندريلا. الأطفال الذين تموت أمهم، وأبوهم يتزوج ويعانون ظلم زوجة الأب. الأخوان جريم ادّعوا أنهم لم يغيّروا في القصص، لكن الناس بحثوا وفتشوا ووجدوا بأنهم كذبوا فيما أدّعوا؛ فمن أهم التغييرات التي أدخلوها أن أم سندريلا ماتت وأتت خالتهم زوجة أبيهم. القصة الأصلية لا تحتوي على شخصية الخالة. والقصد أن يتعود الطفل أو الطفلة أن الأم ليست ملاكاً، بل يجب قبولها بعيوبها. لم يعجب الأخوين جريم أن الأم تجسد شخصية غير جيدة، فأماتوا الأم واستحضروا شخصية الخالة. بينما العرب، لدينا، وجدوا أن المسألة سهلة، لا يوجد هناك دافع لجعل الأم تموت؛ لذا فإن "سندريلا" لدينا أمها ليست ميتة والخالة هي الزوجة الثانية، أي أن لها اثنتان من الأمهات في نفس الوقت، تمثلان الأم الصالحة والأم الشريرة.

قراءة في قصتي "العفريت الناقص والجميلة شاربا" و"البيت والنخلة" (من قصص اليافعين)

الكاتب عاطف ابو سيف

عاطف أبو سيف

جمالية السرد وتعدد الرواة في كتاب العفريت الناقص والجميلة شاربا

القصة بقلم الكاتب الإيراني علي أصغر سيد أبادي، مترجمة للغة العربية من قبل عبلة طوباسي، وصدرت عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي عام (٢٠١١) في

غلاف قصة العفريت الناقص والجميلة شاربا.

رام الله. البطلة شاربا فتاة عادية من القرية تقوم بما يقوم به سكان القرية، إلا أنها تحب الوحدة ولا تذهب مع فتيات القرية إلى النبع، بل تفضل الذهاب وحدها. ذات مساء وحين كانت قرب النبع ذهبت شاربا فخطفها عفريت مارد، ودخل بها إلى داخل القلعة حيث قدمها لابنه الصغير الذي سنعرف أن اسمه "العفريت الناقص"؛ لأن من عادات العفاريت ممارسة القتل والذبح، لذا توجب على العفريت الابن ذبح شاربا. لكنه لم يفعل بل سحرته نظرات الفتاة وحملقتها فيه، ولمّا تجمع أهل القرية قرب بوابتها ينادون على شاربا، قام العفريت الناقص بإعادة شاربا إلى أهلها مخالفاً كل تعاليم وتقاليد وممارسة العفاريت.

يقدم الكاتب الإيراني علي أصغر سيد أبادي في قصته "العفريت الناقص والجميلة شاربا" نموذجاً متكاملاً من البناء السردي الشرقي القائم على الحكايات المختلفة إلى المواضيع التربوية الهادفة التي تضيء الكثير من خفايا الروح الإنسانية. فهو يدمج بين التشويق في السرد والرصانة في معالجة الموضع المتمثل في الإدارة. وهو يستخدم عالم الخرافات في تعزيز القيم الإنسانية مرتكزاً

على الموروث المعرفي الشعبي الذي يجعل من نضال الخير ضد الشر، ومن قوة الإرادة، رديفاً لتحقيق الخير الذاتي والعام.

تشبه هذه حكايات ألف ليلة وليلة، وتبدو لو أنها ليلة جديدة من ليالي شهرازاد، وهي تسرق الوقت، وتمرر الليالي كي تُلهي شهرايار فَينام. الكاتب الواعي لذلك الشبه يبدأ بنفيه؛ فهو يقول بداية أن مثل هذه القصة لا بد أن تبدأ كما درجت العادة بعبارات السرد الكلاسيكية المألوفة "كان يا ماكان" لكنها لن تبدأ كذلك بل إنها ستبدأ بطريقة مختلفة؛ فحكايات العفاريت، ومغامراتهم، وعالمهم الغريب والتي هي جزء ومكون أساسي من حكايات الناس وقصصهم لها نكهة خاصة توحي بأنها تعود لآلاف السنين وتضرب بجذورها في القدم؛ لكن قصتنا ليست كذلك فهي رغم انتمائها لهذا العالم إلا أنها قصة حقيقية حدثت من وقت قريب، ومن يقوم بروايتها هم أبطالها أو من عاشوها.

من هنا تبدأ المفارقة، وتبدأ القصة بأخذ نكهتها الخاصة؛ فهي قصة حقيقية ولكنها عن عالم غير حقيقي، أو على الأقل هكذا يُراد لنا أن نعتقد بأن هذه القصة حدثت وأن ثمَّ من يستطيع إثبات ذلك؛ فالرواة الموثوق فيهم عاشوا ويعيشون بيننا في هذا العالم، إلا أن الكاتب البارع الذي يعرف كيف ينتقل بالقارئ بين مستويات مختلفة من السرد ينجح في إدخالنا إلى أجواء شيقة من المتعة والانتظار بحيث تتكشف الأحداث تباعاً، مثلما يقشر أحدهم كرة كبيرة من اللفائف، فكلما فض طبقة انكشفت معالم طبقة أكثر تشويقاً وإثارة، ليصل الأمر بالقارئ أن يستلهم درويش في مقولته، مُحَوراً إياها: «لا أريد لهذه الحكاية أن تنتهي». هذا جوهر عالم ألف ليلة وليلة الذي تتوالد فيه الحكايات وتستبطن من قلب بعضها البعض، ويخرج فم الأخرى من ذيل السابقة وهكذا دواليك.

لتحقيق هذه المتعة المرجوة، فإن الكاتب استخدم مستويات السرد المختلفة؛ إذ جعل القصة تحكى على لسان أربعة رواة ممن عاشوا الحدث الواحد. فنحن ننظر للصورة من أربع زوايا وكأن الحدث تم على خشبة مسرح، ننظر إليه من الاتجاهات الأربعة فتصير إحاطتنا به كلية شاملة؛ فالرواة موزعون بين فاعل أساسي في الحدث، وبين مشاهد رآه بأم عينه وبين محاولٍ لتفسيره وقراءته.

تتركز رواية الفتاة حول تقديم المشهد السردي، وتحضير القارئ وتهيئته لما سيجري؛ فهي المُنادي الذي يدعو المستمعين للانتباه للقصة الجميلة؛ إنها فتاة من قرية نائية، وقد قُدّرَ لهذه القرية أن تكون مسرحاً لحدث عظيم، وهي تستغل هذا الحدث لتبدأ أولى محاولاتها في الكتابة. تقوم الفتاة بنثر تفاصيل القصة الأولية فهي تدور في قرية لا تعرف مياه الأنابيب؛ لذا تقوم فتياتها بغسل الثياب عند النبع، وحمل جرار الماء وجلبها للشرب. خلف النبع ثمَّة قلعة يدعوها سكان القرية بقلعة العفاريت حيث يُعتقد أن ساكنيها من العفاريت الذين يقومون بخطف الصبايا الجميلات.

شاربا التي تقوم برواية جزءٍ من الحكاية تخبرنا عما حدث لحظة اختطافها من قِبَلِ العفريت المارد وما حدث بعد ذلك داخل القلعة، أما العفريت النبيل فيكشف لنا بوضوح شخصية العفريت الناقص فهو صديقه وكمثلِهِ ينقصه بعض صفات العفاريت، العفريت الناقص لا يتصف بكل هذه الصفات بل إنه لا يلتزم بالوصايا المقدسة؛ لذا فإن به لَوثَةٌ تجعله لا يصلح لتبوء مناصب عليا في عالم العفاريت. لكنه يروي لنا ما حدث من زاويته، وكيف سحرته عيون شاربا، وكيف أنه تصرف بشكل غريزي وأعادها لأهلها. في هذا الجزء نرى العفريت مُؤنسناً له قلب ومشاعر، نحس بتعاطف كبير معه، بل يصبح مثيراً للشفقة؛ فهو البطل الحقيقي لمأساة العفاريت الشريرة.

في ختام القصة تعود الفتاة لتروي لنا «ما بعد القصة» حيث يخرج العفريت الناقص من عالم الظلام إلى عالم النور وهناك يبدأ بالتحول التدريجي من عفريت لإنسان، ويلتقي بشاربا ويبدأ التطبع بعادات البشر؛ فيعيش معهم، ويلتحق بالمدرسة، ويتخذ له اسماً قريباً من اسم شاربا هو «شارمن» ويبدأ تودده لشاربا، ليصير شاباً مثل أي شاب. إن المفارقة الرائعة أن العفريت كلما عمل خيراً (التعاطف مع شاربا، إخراجها من القلعة، التفاعل مع سكان القرية) تسارعت عملية تحوله من عفريت إلى إنسان؛ كأن الكاتب يريد أن يقول – وأرى أنه مغزى القصة الأساسي – أننا نصبح أكثر إنسانية كلما فعلنا الخير وتفاعلنا مع الناس إيجابياً بحيث نكتشف ذواتنا.

هذه الأحداث الممتعة يتم تقديمها بسرد شيق ينتهي باعتراف الفتاة بأنها لا تعرف كيف ستنتهي الرواية، إلا أننا سنتفاجأ حينما يطرق الباب ساعي البريد ليسلمنا دعوة لعقد قران شاربا على العفريت الناقص؛ كأنها مثلنا لا تريد لهذه الحكاية أن تنتهي. والقارئ عبر تقنية السرد تلك شريك أساسي في صناعة الحكاية؛ فهو مطلوب منه أن يتفاعل، ويفكر، ويقترح، ويشك وربما يروي جزءاً منها؛ بالتالي فميزة القصة في جرأتها على كسر الصورة النمطية ودعوتها للخروج من إطار التفكير التقليدي والقيمي، بما يخص عوالم الآخرين نحو التفاعل والتعايش مع هذه العوالم، فحتى العفاريت يمكن أن نجد معهم قواسم مشتركة. وبالتالي فإن التسامح سمة أصيلة في المخلوقات القادرة على إيجاد حياة مشتركة، وإذا كانت العفاريت ترق قلوبها وتشفق وتحب وترغب

في الاختلاط مع الآخرين، فإن العفريت لم يكن ناقصاً إذاً، بل كان عفريتاً صحيحاً معافى ليتنا مثله، لكنه عفريت يمتلك المقدرة على التخلص من عيوبه، والسموفوق نواقصه؛ فهو لم يشأ أن يظل أسيراً لذات المكانة، وذات المعيشة التي وجد نفسه فيها. لقد برع الكاتب في جعل هذا العفريت إنساناً من خلال إصراره، وتمسكه بإرادته ونضاله حتى ضد أهله، وضد ذاته من أجل أن يحقق حلمه في أن يكون عادياً. وهي دعوة للقارئ كي يكتشف نفسه عبر إنسانيته.

التحدي والبناء في قصة البيت والنخلة

القصة بقلم الكاتبة المصرية عفاف طبالة، صدرت عن دار نهضة مصر للنشر عام (٢٠٠٩)، تقدم الكاتبة نموذجاً مختلفاً للروح الإنسانية المقاتلة وللإرادة التي تتغلب على قسوة الواقع وكيد الأشرار. في رواياتها «البيت والنخلة» تعرض طبالة لهذا الصراع الأبدي بين الإنسان والحياة والتي يستطيع الإنسان عبر إرادته تطويع كل الصعاب، وتذليل كل العقبات، والمضي قدماً في تحقيق أحلامه والتأسيس للحياة التي يرى أنه يريد أن يعيشها. مثل قديسة تنزل الخالة «بهانة» مع حفيدها إلى قرية نائية، وتترك فيها ما يرتكبه القديسون في حياة البشر من تأثير؛ فالمرأة العجوز التي وطأت قدماها أرض القرية للراحة حين كانت في طريقها عائدة من المدينة إلى الجبل حيث قريتها، قررت أن تستوطن القرية القريبة من المدينة، وبالتالي تسهل مهمتها في إيفاد حفيدها إلى المدرسة في المدينة. تشتري قطعة أرض بور على تلة ملعونة من المختار، وتبني لها بيتاً وتزرع نخلة، ومع الوقت تصبح هذه التلة البقعة الأكثر طهارة وأهمية في القرية. التعليم في القرية كان حكراً على ابن العمدة وابن شيخ الخفر، ولكن حين تقرر الخالة «بهانة» مرافقة حفيدها «فارس» إلى المدرسة سيصبح من حق الجميع الذهاب إليها، وبعد ذلك تبتدع الخالة طريقة أسرع لنقل أولاد القرية إلى المدرسة عبر العربة التي يجرها الحمار «رامح»، حيث تصبح العربة جسراً يربط بين القرية والعالم الخارجي. وبين ليلة وضحاها تصبح الخالة الشخص الأهم في القرية، ويصبح تأثيرها وحضورها عند الناس كبيرين، وتصير أفكارها جالبة للحظ وصانعة للتقدم؛ فهي تسهر على راحة القرية، وتعمل على تطويرها، ومساعدة سكانها وسرعان ما صارت واحدة منهم.

لا تسير القصة وفق اندماج وانسجام، بل إن هذه السعادة تجد في طريقها عقبات، وصراعات كبرى توقدها زوجة العمدة التي ترى أن تعليم أولاد القرية يضر بسلطة ولدها المعرفية

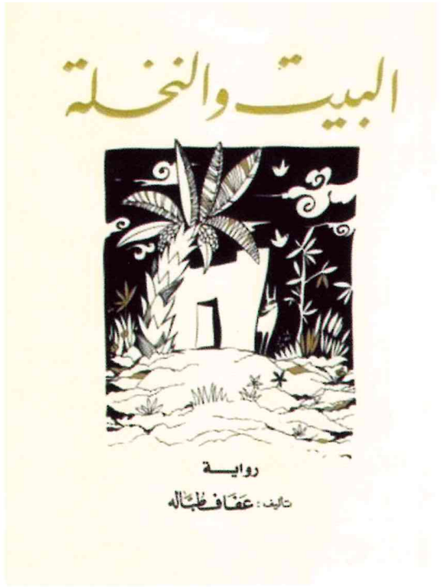

غلاف كتاب البيت و النخلة

المفترضة؛ فتستعين بشيخ الخفر في تدبير المكائد والحيل للخالة ولحفيدها لتصل حدّ اتهامهم بالسرقة (سرقة الحمار)، وتنتهي بزج الفتى، بعد وفاة جدته، في السجن بتهمة السرقة بعد أن عجز الجميع عن تفسير وجود مبلغ كبير من المال لدى الخالة بعد موتها، حصلت عليه بعد أن باعت بيتها في الجبل دون أن تخبر أحداً.

الرواية مليئة بالمغامرات، والاستكشافات، والتحدي، والغرائبية - في بعض الأحيان - والمشاعر الجياشة، والحب، والصداقة، والبطولة، والتضحية، مرتكزة بذلك على عالم الفتيان الشقي، والمكافح، والمثابر، والمتقلب في المشاعر والمُحب للمغامرة، وللوطن، حيث نكتشف بأن والد «فارس» مناضل ضد الاحتلال الفرنسي، يهرب من السجن، ويوجع الاحتلال الفرنسي بمقاومته ويكون مطلوباً لقواته. كما تقوم الفتيات والفتية أصدقاء «فارس» بمجموعة من الحيل والمكائد لإخراجه من السجن؛ ليتمكن من الالتحاق بالامتحان النهائي، حيث تقوم وردة بتحريض أهل القرية ضد «عوض» الشرطي الذي يتآمر مع شيخ الخفر وزوجة العمدة، ولا يطلق سراح «فارس»، كما أمر وكيل النيابة، وفي موكب مهيب يخرج الجميع من القرية صوب مخفر الشرطة، ويتم لهم ما أرادوا بعد سلسلة كبيرة من المواقف التي تبدأ بقراءة بيان البراءة، وقدوم العمدة، وادعاء جميع سكان القرية بأنهم أخوال وأقرباء فارس، وبالتالي فجميعهم أولياء أمره. إنها رحلة كفاح طويلة تنتصر فيها إرادة الخالة بهانة على كل المؤامرات التي تحاك ضدها، إلا أن الإرادة الأهم التي تتجلى في متن السرد فهي إرادة الخالة في تغيير الواقع، وتحسين حياة الناس، وهي تنجح في كل ذلك، معتمدة

اعتماداً كلياً، في تحقيق ما تصبو إليه، على إيمانها بمقدرتها على فعل ذلك وإصرارها. إنها تمتلك إرادة من نوع خاص؛ إرادة تؤمن بقوة الخير وبالروح الإنسان. إن هذا التوق نحو الأفضل، وهذه الأرادة هي ما يجعل الخالة بهانة صاحبة معجزات، وصاحبة كرامات بالنسبة للقرية التي نجحت في تغيرها، وفي تطوير حياة الناس البسطاء فيها، رغم مكائد زوجة العمدة وشيخ الخفر.

الرواية تستخدم تقنيات سرد متنوعة وبسيطة في ذات الآن؛ كي تكون ملائمة للفتيان، فمعظم أبطالها من الفتيان والفتيات، وتقدمهم بصورة مشهدية تعكس عالمهم الخصب المليئ بالأحداث، والمواقف، والمشاعر، والإدراكات بميلهم للمغامرة، وتشكيل الشلة (كما يحدث في المدرسة) وجنوحهم نحو التفكير، والتأمل، والتنقيب في الطبيعة، وبالتالي اكتشاف ذواتهم.

إن الراوي الأساسي هو الفتي «سامر» حفيد «سرحان» الشاهد الوحيد على الحكاية، كما أن الرواية تمتلك عناصر هامة من التشويق تبدأ في أصل الحكاية حيث يُصر سكان القرية على نعت قريتهم بالبيت والنخلة، وليس ببيت النخلة كما ترى البلدية وهو زعم قائم على حكاية.

لا يمكن للقارئ أن ينتهي من قراءة الراوية ويكون متيقناً من أصلها، بل إنه سيزداد تأملاً فيها، فقد يقول القارئ بأن البيت الذي بنته الخالة «بهانة» والنخلة التي غرستها تحركا باتجاه مخفر الشرطة، وسارا مسافات، واهتزت القرية مثل زلزال أحس به سكانها، وأن «فارس» في الحقيقة نجح في الهرب من السجن بفعل النخلة التي وقفت تحت شباك زنزانته، وتسلقها ونزل إلى الشارع، ثم عاد البيت والنخلة إلى مكانيهما؛ فصار البيت مقلقلاً والنخلة منحنية. القارئ، وببراعة من الراوي، يواصل القراءة كي يكتشف هذا السر في نهاية الرواية.

ترتكز الرواية على الغرائبية في الكثير من أحداثها الأخرى؛ مثل الحمار الذي يفهم، ومثل الحوار اليومي بين البيت والنخلة، حيث يروي البيت للنخلة ما يدور داخله، وتروي النخلة للبيت ما تراه في القرية، كما تظهر الخالة «بهانة» في المنام لكل سكان القرية بنفس المظهر تستحثهم على إنقاذ «فارس» من السجن التعسفي.

ينجح الراوي في سلب لبُ القارئ، كما سلب سامر عقل موظف البلدية، في أحداث متسلسلة ومترابطة يقود أحدها إلى الآخر دون ملل، أو توقف، أو استطراد زائد. فالرواية تنطوي من بين كلمات «سامر» الولد الذي يروي قصة البيت والنخلة بهدوء ودعة، حيث تتشكل الشخصيات لتكون معالم المكان، وتتفاعل أطراف الحكاية المختلفة، وتتداخل في بناء فضاء روائي درامي فاعل، ومؤثر ومشوق، بحيث يتمكن الراوي من أسر القارئ بشكل ممتع ولطيف، وزجه في حالة ذهول كامل حين يكتشف مع موظف البلدية بأن قصة مشي البيت والنخلة قد لا تعدو أن تكون أكثر من قصة من قصص «سرحان الفشار» (الذي يحب خلق القصص وتصديقها)، بيد أن الكاتب/الراوي لا يستسلم أمام مثل هذا الاكتشاف؛ فهو يبرهن بما لا يدع مجالاً للشك بأن ثمة حقيقة كبيرة في كل ما روي، والوقائع المادية في القرية خاصة، وجود المدرسة التي تقول اللوحة الرخامية بأن «فارس عبد الله» تبرع بها خير دليل على ذلك.

ما تقترحه الكاتبة عفاف طبالة بأن ثمة احتمالات كبيرة لحدوث هذه القصة، وهي مفتوحة على عالم واسع ورحب من هذه الاحتمالات، فهي قد تكون حدثت، أو قد يكون بعض منها قد تم فعلاً، والبعض الآخر من اختلاق «سرحان»، إلا أن الثابت في مكان ما في هذا العالم يمكن للإرادة والتحدي أن يتغلبا على قسوة الظلم، كما يمكن للخير أن يهزم الشر، كما يمكن للمجموع المتحد أن يتمرد على بطش الشرطي الظالم، أو على السلطة الحاكمة التي مَثلها شيخ الخفر، كما يمكن للخيال أن يكون خصباً ومبدعاً، وللبطولة أن تكون جزءاً أصيلاً من بقاء الناس وتمسكهم بماضيهم.

مقالات في أدب الطفل

قراءة في شخوص قصة «مارة والأشياء»

هاني السالمي

تبدأ الحكاية بمارة بطلة القصة، إذ تُثير الإعجاب؛ لما تملكه من صفات غير طبيعية. ولادتها على مقعد القش يترك أثراً داخل الطفل القارئ بأننا منذ البداية نجد أنفسنا أمام شخص غير عادي. تجذب القصة القارئ منذ بدايتها من خلال الأحداث التي تشرح طبيعة مارة غير العادية (لم يكن عند مارة صبر، كبرت مارة بسرعة، ومشت بسرعة...) الأحداث هذه يحبها الأطفال؛ لأن الأطفال دائماً يبحثون عن بطل في زوايا لا يراها الكبار، وهي ما يجعل الأطفال يتعلقون بها.

شخوص القصة بين الحقيقة والخيال:

قد يكون الجو العائلي في القصة مشابه لأجواء الأطفال العائلية بوجود الجد والجدة، والحياة الهادئة، لكن إبداع الكاتبة في صناعة الأحداث المهمة في ظل هذا الصفاء والهدوء هو ما ميز هذه القصة من غيرها، وربما عن الواقع.

تظهر الأم مرتين في القصة، حين ولدت مارة، عندها كانت الأم تقرأ، والوضع الثاني حين مات الجد، حيث كانت الأم واضحة في بكائها وانشغالها بحدث الموت. ما يدل بأن مارة لم تحصل على صفاتها من أمها. وقد تجد شخصية الجد قريبة لشخصية أم مارة، وقد ظهرت شخصيته في جملة وحيدة "قال الجد: لا بد أنها تعثرت ووقعت"، وفي صورتين إحداهما وهو يجلس مع مارة يخبرها بأن جدتها بخير، والثانية وهو ممدد وميت. يبدو أن الكاتبة تعي بأن الطفل لا يرضى أن يموت بطله في القصة، وعليه آثرت أن تكون النهاية لحياة الجد دون حياة الجدة. وذلك لأن الطفل ومارة قد ارتبطا

هاني السالمي

وتعلقا بالجدة كثيرا، وعندما يموت الجد فكأنك تأخذ من الطفل شيئاً ثميناً قد لا يمر دون أن يخسر الطفل فيه شيئاً، وحتما سيترك أثراً واضحاً لديه.

الشخصيتان الرئيستان في القصة، مارة والجدة هما بداية القصة ونهايتها، ونحن إذ أحببنا الجدة ومارة، فسنسأل أنفسنا لماذا ليس كل الجدات كجدة مارة؟ هناك علامات وجمل تدل على مدى تعلق مارة بجدتها، «جدة مارة كانت أعز صديقاتها»، «تشترك

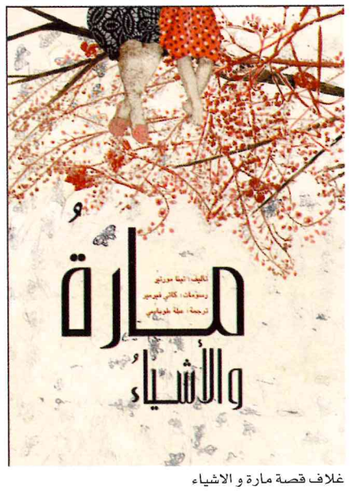

غلاف قصة مارة و الاشياء

الجدة مع حفيدتها في الركض، تدور دورة حول البركة»، «كما كانت تفعل مارة وهي صغيرة عندما تدربت على المشي»، «التهمتا الكثير من الحلوى»، «ما تحب مارة كانت تحبه الجدة».

مزايا شخصية الجدة :

"جدة مارة كانت أعز صديقاتها" وهذه الجملة تدل على الاستمتاع بوجود الأحفاد، وهو شعور لا يساويه شعور آخر في العالم، والذي هو امتداد لوصائل العائلة. الصديق أهم ما يحافظ عليه الطفل، فكيف لو كانت جدتك صديقتك؟

«تشترك الجدة مع حفيدتها في الركض والهرولة في الحديقة» وهو دور عاطفي جديد من خلال تربية جيل ثانٍ غير الأبناء، أساسه تفادي الأخطاء التي وقعوا فيها أثناء تربية الأبناء، مستعينين بالخبرة التراكمية التي اكتسبوها؛ فتراهم يكثرون الاهتمام بالأطفال قدر المستطاع ويتفادون الانشغال عنهم، حرصا منهم على أن لا يحدث انشغالهم فجوة عاطفية في داخلهم، فجدة مارة، بمشاركتها لمارة بالركض والجري، تحقق قمة العاطفة بينهما.

«أليست هذه الكوكيز ألذ كوكيز أكلتها في حياتك»، إحساس التواجد والرغبة في وجود الأطفال؛ لأنهم من خلال هذا الاتصال يجدون من يشجعهم، ويدعمهم ويقدم لهم العواطف الحانية؛ لأن الكوكيز تعتبر أكلة أصيلة قديمة فهي تعمق علاقتهما، وهو شبيه بـ (حلوى الكعك) في ثقافتنا كحلوى العيد الذي نصنعه معاً، فنحن في تلك اللحظة لا نصنعه بقدر ما نصنع العلاقة الحميمة داخل العائلة.

«ثم تبادلتا الحكايات والتهمتا الكثير من الحلوى» تحقيق الرضى والإشباع النفسي فيما يحققه الأحفاد من نجاحات؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يحيا دون وجود الشيء الذي يشبع رغباته. إن تبادل الحكايات هو تبادل للخبرة؛ حيث تملك جدة مارة الكثير من القصص والمواقف التي تحكيها لمارة كي تستفيد منها في حياتها؛ ومارة تخبر جدتها عما تحب، فيكون تبادل الحكايات بين الجدة ومارة جسداً واحد متشابها، ولا يمكن فصلهما.

«حتى أصبحتا دبقتين وكادتا تلصقان بفعل السكر والفتافيت» إن كلمتي سكر وفتافيت كثيرتا الشبه بأم مارة (السكر) وجدها (فتافيت)؛ لأن هناك حب من الجدة ومارة لكلا الأم والجد الراحلين، وهذا واضح في نهاية القصة عندما أصرت الجدة على إلقاء نظرة الوداع على الجد، وظهر الحب الذي بينهما حين قالت الجدة: «هيه» وأخذت تمسد شعره الأشعث بحنان.

شخصية مارة (الجدة الصغيرة):

مارة...إنها الجدة الصغيرة، اكتسبت مهاراتها الطفولية حول كيفية التعامل مع من يكبرونها في السن، وسط أجواء الطبيعة التي عاشت فيها، حيث الشجر، والأرض، والزهور، والحيوانات الأليفة وحبها لبعض الألوان، وقد نذهب في التأويل إلى أنه إذا كانت جدتها تقطن بعيداً عنها، ولا بد من رؤيتها بشكل دوري فإن مارة كانت جاهزة لهذا اللقاء، فقد يبدو هذا واضحاً من خلال الركض، والأرجوحة، والشجرة الكبيرة والحكايات.

إن كبار السن كلما تقدموا في العمر، كان احتياجهم للهدوء أكثر، يرافقه صعوبة في مواكبة تحركات الشباب، والأطفال وطاقاتهم الزائدة؛ لذلك نجد أن كبار السن يميلون للأحفاد بدرجة أكبر في السنوات الصغيرة؛ لأن طبيعة الطفل في السن تتلائم وتتجانس مع طبيعة الجد/الجدة. وهذا يتضح في قصتنا بأن الجدة كانت تميل لمارة؛ لأنها نشيطة وتحب كل تفاصيل المرح معها، لكن هذا النشاط الزائد ترك أثره على صحة الجدة «وفي يوم من الأيام وجدت الجدة ممددة على الأرض، قال الجد: لا بد أنها تعثرت ووقعت، لكن مارة لم تصدق أيه كلمة مما قالوه».

الرفض عند مارة كان مفيداً، «فأخذت تضرب الأرض بقدمها بإيقاع رافض» عندما غيرت شكل الغرفة التي تقطن فيها جدتها أثناء مرضها؛ ما ساعد الجدة على لفظ الحروف، وطلبها الكوكيز، وذهابها لتلقي نظرة الوداع على الجد، كما أن الرفض عند كل طفل قد يسهم في حل الكثير من المشاكل نظراً لطاقة خفية لا يمكننا أن نحبسها بمجرد التفكير بها، وهو ما يدعونا لأن نطلق العنان للأطفال كي يكوِّنوا عوالمهم الخاصة بهم.

عالم مارة والأشياء:

إنه عالم خاص جداً، يشبه عالم كثيرٍ من الأطفال؛ حيث أن الطفل لا يرضى بأي عالم سوى عالمه، فعدم اقتناع مارة بمرض جدتها وبأنها لن تستطيع الوقوف على رجليها مره أخرى، يدل على أن مارة لا تفكر إلا بمن تحب، ولا تقبل له الزوال، ولذلك كان وقوفها على سرير جدتها دوماً. أبدع الرسام في رسوماته، خاصة تلك التي تظهر تشارك مارة وجدتها في اللعب، حيث أن لون فستان الجدة هو نفسه لون فستان مارة، كما أن كلتيهما ترتديان قبعة.

ختمت الكاتبة القصة بكلمة كوكي، التي كانت أيضاً أول كلمة نطقت بها مارة، كما كانت آخر كلمة قالتها لجدها الراحل كوكي «هل الجدة في نظر مارة مثل الحلوى التي ستظل تحبها إلى آخر الأشياء؟». إن قصة مارة والأشياء تركت دهشة بسكر زائد، وإن لكل شيء جميل نهاية، لكن علينا أن نتقن توديع الأشياء، ولا يجب التخلي عمن يحتاج لمساعدتنا ووجودنا.

عن مسارات التأويل واختلاف السياقات في "الثعلب أبو البطات"

آلاء قرامان

يُروى أن امرأتين جاءتا لسليمان عليه السلام، ومعهما طفل قد اختلفتا أيهما أحق به، كانت الأولى قد ولدته، والثانية قد ربته، وليحسم سليمان الخلاف؛ رسم دائرة طباشير، ووضع الطفل في منتصفها، وطلب إلى المرأتين أن تشدا الطفل، وأيهما تشده إلى ناحيتها أكثر يكون ابناً لها، استعدت السيدة الأولى لتشد الطفل، في حين التفتت الثانية إلى سليمان وأخبرته بحزن أنها تتنازل عن الطفل للأولى، مخافة أن تؤذيه، فأعطاها سليمان الطفل .

فيما بعد، سيستلهم الأدب العالمي هذه الفكرة كثيرا، وإن بأشكال مختلفة، وسنرى بريخت يعيد صياغتها في دائرة الطباشير القوقازية، وسيكتب عنها كنفاني في عائد إلى حيفا، وسيصبح السؤال الثنائية، الأرض – الطفل، للذي ربى ،زرع، أم لذلك الذي ولد ،هرب؟! ثيمة متكررة في النصوص العالمية .

حين قابلت كريستيان دورا، ويوليا فريزا قبل بضعة اشهر، لم تكن قصتهما الثعلب أبو البطات، قد دقت اسفين هذه الأسئلة، بل الغالب وأنني (وحتى اللحظة) كنت أراها قصة بديعة جداً، وانسانية جداً، عن ذلك الثعلب الجائع الذي أخذ بيضة البطة التي أرهبها بنيّة أكلها، لكن فرخا صغيرا ظهر منها وناداه « ماما ، ماما »، صار الفرخ ابنا للثعلب، واتخذ الفرخ زوجة وأنجبا (باضا) العديد من البطات الصغيرة، لكن الثعلب مات «جوعانا» رغم وجود الكثير من البط حوله. وفي فسحة الانتظار البسيطة لحضور كاتب

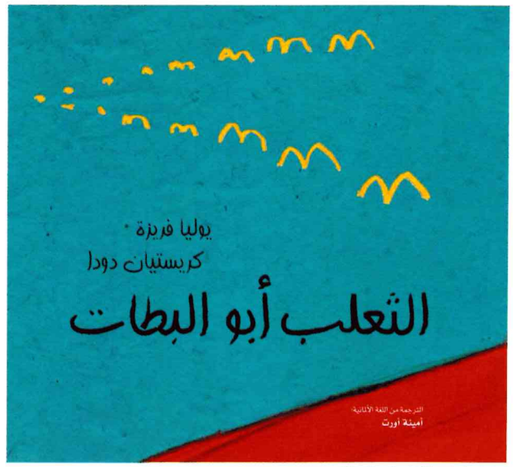

غلاف كتاب الثعلب ابو البطات

ورسامة القصة، تنامى لدي هذا السؤال فجأة، هل يتحدثان عن علاقة أكثر تعقيدا من بطة/ثعلب؟ يعيدان صياغة الثنائية أعلاه ويقدمانها في قصة شاعرية للأطفال ؟!

حينما طرحت السؤال عليهما، أخبراني –وربما لم ينتبها إلى نواياي من السؤال – أن النص يحتمل عدة قراءات فعلاً، وأن واحدا من أسباب تأخر نشره (استغرق نشره ٥ سنوات)، هو جزئية تركيب هذه العلاقة، ومدى تعقيدها، ومساحة التأويل المفتوحة جدا في النص، ولكن عندما نشر كان من افضل عشر كتب نشرت في المانيا .

يمكن لنا أن نضع نص «الثعلب أبو البطات» في سياق أكثر قرباً لنا كفلسطينين، بمعنى طالما أن الإنسان يقرأ الأشياء وفق خلفيته المعرفية، فإن قراءة كهذه بين الثعلب والبطات، لا شك تستحضر

وضعية الفلسطيني في حضرة المُحتل، وبالتالي فإن انحراف السياق من إطاره الأوروبي الذي نشأت فيه الرواية إلى سياق فلسطيني لا شك سيخلق دلالات بديلة، قد لا نوافق عليها، لكنها تبقى مسارا تأويليا لا شك أن البعض سيسير فيه.

وبما أن الأدب العظيم قادر على تغيير الاتجاهات والمواقف والرؤى تغييرا جذرياً، كما أنه قادر على توجيه أيدلوجيات قرائه، وكتاب قصة الثعلب أبو البطات مثال حقيقي على الجملة التنظيرية أعلاه.

في ورشة[1] رواية ومناقشة للقصة في مدرسة الخديجية-نابلس، وعلى مدار(٩٠) دقيقة مع الأطفال، شاهدت كيف تحولت الرؤى للأطفال الموجودين، وتبدلت، وكيف انتقل التعاطف من الضحية المفترضة – البطة – إلى الجلاد المفترض، الثعلب !

لم يبدُ للأطفال المشاركين عنوان الثعلب أبو البطات عنواناً موحياً بعلاقة خارجة عن علاقة الثعلب الذي سيأكل البطات، سألنا الأطفال عن ما يمكن أن تحتويه القصة؟ ما الذي يخبرنا به العنوان؟ لم تخرج التوقعات جميعها عن علاقة نمطية، قوي يأكل الضعيف، الضحية تهرب من الجلاد، المفترس يعذب الوليمة – بحالتنا هذه البطة .

مع بداية رواية القصة، أبهرت القصة برسوماتها الأطفال، وبدت لهم قصة جميلة فعلا، شهقت الفتيات أكثر من مرة ونحن نقلب الصفحات، تصاعدت منهن الكثير من عبارات الانبهار بالصور، لكننا لم نشهد في البداية أي تغيير في المواقف مع الثنائية – الثعلب، البطة -، وحين توقفت أمام الموضع الذي توقف عنده الكاتب والرسامة في ورشة عملهما سابقة الذكر، وطلبنا إلى الفتيات محاولة إكمال القصة، عبرت (٨) فتيات من أصل (٣٢) فتاة عن علاقة ممكنة الحدوث بين الثعلب والبطة، ولم يأتِ هذا التعبير إلا بعد أن استدعيت معهم جميع برامج الرسوم المتحركة التي تناولت قصة مشابهة كتوم وجيري وشون ذي شيب، رأت الأغلبية الباقية أن أم البطة/ أبو البطة/ أو أي قوى خارجية ثالثة ستتدخل لحماية البطة الصغيرة المسكينة.

مع تقدمنا بالقص، بدأت المواقف تتغير شيئا فشيئا. وشهدنا تعاطفاً مع الثعلب، وحباً له، وفي منتصف القصة تقريباً، وحين طرحنا على الفتيات إمكانية افتراس الثعلب لايما – البطة الأنثى التي اقترن بها لورنس – أو أطفال ايما ولورنس، لم تؤيد أي فتاة هذه الفكرة. اقتنعت الفتيات تماما بأن الثعلب أب رحيم لا يمكن أن يؤذي أطفاله. شهدنا في نهاية القصة خيبة أمل كبيرة من الفتيات وحزن شديد، عبرت معظم الفتيات عن حزنهن لموت الثعلب، وعن رغبتهن بأن يستمر الثعلب على قيد الحياة، ولم يحبذن فكرة موته، وفكرن بحلول بديله تسد جوعه –كأكل التفاح مثلا-، ليبقى على قيد الحياة .

نحن لا نعرف الثعلب إلا من خلال ما ترويه لنا الجدات، فهل تكفي هذه المعرفة القصصية لتصبغ الثعلب بروح المعتدي، أم أن علينا أن نفكر بـ«ثعالب» أخرى تحضر بقوة في حياتنا كفلسطينين؟ في ورشة نقاش[2] مع مكتبيات رام الله ونابلس، بدا أن التعامل مع هذا الكتاب يثير اللبس قليلاً؛ فالحذر كان الصبغة الأولية لتعامل المكتبيات مع الكتاب، لكن سرعان ما تحول هذا الحذر المبدئي إلى مناقشة سادها ضدان. الاتجاه الذي لم ير في الكتاب اسقاطات خارجة عن كونه يحاول نقل صورة أكثر ألفة للثعلب، وما يترتب على هذا من نتائج واسقاطات. والاتجاه الآخر يرى في الكتاب حالة إنسانية تستحق الكثير من الثناء.

ويقف أصحاب الاتجاه القائل بإنسانية الكتاب أمام الدلالات أيضا، ويرون في دلالة «التعرف»، نزعة إنسانية أخرى تضاف للثعلب، وفق هذا التأويل يظهر وكأن الكاتب يقصد إلى جعلنا نؤمن بهذه الانسانية، ويبدو أن الرسومات تساند هذا الاتجاه، فهي تنتقل من رصد علاقات تفاعلية باردة بين الثعلب والبطة، إلى علاقات حنان وألفة وتقارب، وترصد الرسومات اختفاء أسنان الثعلب تدريجيا مع التقدم بالقص .

حين ننظر بصورة أقرب إلى النص، تتبدى لنا مدى رهافة النص وإنسانيته؛ فنحن لم نتوقف عند ايما في أي من نقاشاتنا مع الأطفال أو اليافعين، ايما البطة التي رباها البط وتهاب غريزيا من الثعالب، نجدها وقد أعطت كونراد فرصة، ونجد أنها اقتربت من العائلة حتى أصبح كونراد يحرص على مشاعرها أكثر من مشاعر ابنه! وتتجلى تلك الأبوة في أوضح صورها في موقف كونراد حين يتعرف على ايما صديقة البطة الأولى: الاسم يظهر لأول مرة، ويتمنى لو يتشاجر لورانس معها، ليأكلها ويعود وابنه كما كانا دائما وحيدين. في مشهد يعكس مدى تعلق الثعلب بابنه، وغيرته الأبوية عليه أو تؤكد على صفات الثعلب المفترسة.

لكننا وحين نفترض هذه العلاقات، وهذه التحليلات، فإننا لا نعني أن هذه التحليلات تفترض بالضرورة أن الكتاب وأن شخوصه مقصودة، وأنها مكتوبة تحديداً لتصف ثنائية العلاقة بين الفلسطيني والمحتل، إننا إذ نسقط شخصياتنا الخاصة على الكتاب، وفهمنا الخاص له، لا نجرده من معانيه الإنسانية الجميلة، أو نجرده من جماليات النص والرسومات، بل نقدم اجتهاداً بحتاً، وفهما ما، يقف بدوره إلى جانب ملايين القراءات الأخرى، وملايين طرق الفهم الأخرى التي ينتجها ملايين القراء حول العالم. وهذا ما يجعل القراءة ممتعة، وما يجعلنا نحن

١. النقاش مع ٣٢فتاة، من مدرسة الخديجية ، في مدينة نابلس ، في الصف الرابع، في تاريخ ٢٠١١/١٠/١٧

٢. ورشة نقاش للكتاب في رام الله . مع مكتبيي شبكة مكتبات أدب الاطفال في رام الله ونابلس . عدد الحضور ١٥ شخص . بتاريخ ٢٠١١/١١/١

المتلقين أكثر قربا من الكتاب، وقدرة على إعادة صياغة معطياته، في صورة نجتهد لنقول أنها أقرب إلى الصواب، بالنسبة لذواتنا على الأقل.

إن محاولتنا كانت باتجاه لفت الانتباه إلى ما يمكن للاختلاف الثقافي، وللخلفية المعرفية بين الثقافات المختلفة على بناءه من معانٍ مختلفة تماماً بذات النص، وهو ما يحفزنا نحو قراءة أخرى سعت إلى تحليل حالة الاسقاط، وما قد تفرزه من فهم، وهو ما يدعونا إلى الانتباه على آلية توصيل القصص، والأفكار، والتيقظ لكيفية فهم الرسائل والمضامين القصصية دون الوقوع في انفتاح التأويل، وما قد يجلبه انزياح استكنان المعنى من تدمير له.

ما قلناه أعلاه لا ينفي جمالية الكتاب، النص الأدبي الراقي، والحوارات المغمسة بماء الحكمة، والروح المرحة التي تشمل الكتاب بعامة، وحتى خيط الحزن الرقيق الذي يتسلل الى أرواحنا حين نودع الثعلب كونراد كأنه واحد منا ! ولا يغفل هذا الفهم الرسومات البديعة التي صاحبت الكتاب، بل إنه يقف أمام الكتاب مشدوها بطبيعته التي دمجت ما بين النص المكتوب، والرسومات التي تحكي جزءا آخر من الحكاية، وربما حكاية أخرى، توازي الحكاية المكتوبة بجمالياتها، وبهائها، وتستحق وقفة أكثر تعمقا من متخصصين في الرسم، بل إن هذا الفهم يدعونا نحن المتلقين الأكبر سنا أن نفتح آفاقا أكبر وعلاقات أشد قربا مع أي كتاب نتعامل معه مع الأطفال، ولا يتأتى لنا هذا إلا بالاقتراب من النص اقترابا ذاتيا فنقديا، ليصبح الكتاب/ النص جزءا من ذواتنا، وينعكس، فيما بعد، على طريقة معالجتنا لهذا النص مع أطفالنا وشبابنا .

كتاب في مجلة

ملف كتاب " آخر البواب الموصدة "

مع ابتسام أبو ميالة ...

غلاف كتاب اخر الابواب الموصدة

«آخر الأبواب الموصدة» هي رواية إنسانية تحكي صراع الفتاة الفلسطينية مع المحيط، وتمردها على كل ما يحول دون تحقيق ذاتها، هو تحدٍ للواقع وللحيزين الاجتماعي والجغرافي مع ما يحويانه من إرغامات وضوابط. رواية أبو ميالة تشتغل في زمان ومكان مشحونين دلالياً، بعشرات الإحالات المؤدية إلى معانٍ إنسانية ودرامية كثيفة، وهي إذ تتوزع مكانياً بين الأردن كرمز للغربة والقدس كرمز للوطن، فهي بذلك تتوزع على صعيد الشخصيات بين المناضل، والرجل الطيب، والمرأة المظلومة المتحدية. تقول كاتبة الرواية ابتسام أبو ميالة أنها: «شخصيات خيالية تتفاعل مع أحداث حقيقية، ومن خلالها يُعرض تاريخ حقيقي وضعناه بين أيدي هذا الجيل». لم تكن إيمان سوى تلك المرأة الفلسطينية التي قطعت، كما تقول أبو ميالة، «رغم كل التحديات، مسافات طويلة في طريق إثبات الذات والتأكيد على البصمة الفلسطينية، ورغم كل المحاولات لطمسها، إلا أنها لم تتمكن بعد من فتح جميع الأبواب المغلقة، ولا يزال أمامها الكثير من التحديات والتضحيات حتى تصل إلى ما وصلت إليه إيمان من استرجاع الحق والحب».

الرواية لم تخاطب كافة الشرائح في المجتمع بقدر ما حاولت أن تخاطب الفتيان والفتيات منهم، والتي بدورها تحمل أرضية خاصة في آلية الطرح، أو بمعنىً آخرَ، تحمل ضوابط خاصة تفرض الصيغة الخطابية. أبو ميالة التي تشرح ذلك بقولها: «التطورات التاريخية والسياسية أوجدت جيلاً من اليافعين الذين لم يعرفوا شيئاً عن النضال الذي عاشه أهلهم، لذلك أجد أن الكتابة لهم، عن تلك الفترة، ونقل الصورة الحقيقية لهم، هي أهم قضية تشغلني وتسيطر على وتوجهاتي حتى الآن». وهي بالتالي إذ تأملت شيئاً فليس أكثر من: «أن يتفهموا ما عانته الأجيال السابقة للحفاظ على الوطن، وأن لا يدعوا اليأس يتسلل إلى قلوبهم؛ فدائما هناك مُتسع للأمل في استعادة ما سُلب».

لليافعين أو الأطفال، هم من تكتب لهم أبو ميالة، أو تكتب لنفسها، وهي إذ ذاك تتمنى: « أن يكون أدب الأطفال قد أخذ بالانتعاش من جديد بعد ركود طويل؛ فأدب الأطفال برأيي عالم سحري لا نعرف قيمته إلا بعد خروجنا منه، مازلنا نكتب للطفل الذي في داخلنا، نكتب لأنفسنا ونحكم على الكتاب بحسب ما يترك فينا نحن البالغين من أثر وليس في أطفالنا، أعتقد أننا حين نقرأ للطفل، ونشاركه في مناقشة قصة ما يبدي سعادة غير عادية. ما أراه هنا أن معظم ما تحتويه مكتباتنا من قصص للأطفال تناسبهم حتى سن الروضة، وأن علينا المغامرة والبحث عن قصص تناسب الأعمار ما بين سن الخامسة وحتى العاشرة، قصص تكون بعدد صفحات أكثر ومعلومات جميلة. قصص تفتح أمام الطفل ذاك العالم السحري، وتزرع فيه حب القراءة لما يجده من متعة، مع الأسف، أصبحت معظم كتبنا تفتقر إليها».

وإذ لا يخفى على أحد واقع القراءة، بما يحويه هذا الواقع من نقص، وإهمال، وظروف صعبة في ظل تدني مستوى القراءة وانحسار الأدب، وبما أن الأزمة البنيوية تمتد خيوطها لتصل كل أطراف التفاعل، تقول في ذلك أبو ميالة : «ككتاب ومؤلفين أعتقد أن على الجميع البحث من جديد عن روح الكتابة المفقودة، وايجاد أسلوب إبداعي وأدبي يكون قادراً على جذب القارىء إلى عوالم تستحوذ على أحاسيسه، حتى يتم قراءة ما بين يديه من كتب».

تكمل أبو ميالة :«عوامل كثيرة لا تخفى على القراء وعلى أحد، تجعل اختيار الشباب للقراءة ليس سهلاً، الكثير من عاداتنا اليومية كأهل وكمدرسين يجب أن يُعاد النظر فيها، حتى نساعد الطالب على وضع قدميه على الطريق الصحيح الذي يُمكّنه من الإهتمام بالدراسة إلى جانب التمتع بالمطالعة». وما توصي به الروائية بدورها جيل الفتيان والفتيان: « كونوا قراءً متذوقين، وابحثوا عن السبب وراء قدرتكم على إتمام كتاب ما دون غيره، واجعلوا كتاباتكم راقية في أسلوبها، وتشويقها، وإفادتها. وليكن طموحكم كبيراً».

الروائية ابتسام أبو ميالة، التي تعمل على إصدار روايتها الثالثة، تتمنى أن تجد روايتها طريق النجاح والقبول، كما تتمنى أن يتنامى زخم القراءة والكتابة في فلسطين لما فيه من أهمية في الرقي الحضاري. ويبقى السؤال عن الأبواب الموصدة» ماذا سيكون خلفها؟ والى ما ستؤول حين تُقشر كالدمى الروسية (ماتريوشكا)؟»

سلسلة لقاءات حول رواية آخر الأبواب الموصدة في مكتبات مختلفة في فلسطين

في إطار برنامج تطوير أدب الأطفال واليافعين الفلسطيني والذي تُشرف عليه مؤسسة تامر، نظمت المؤسسة سلسلة لقاءات مع الكاتبة ابتسام وأعداد من القراء اليافعين، ومن مكتبيّات ومكتبيين في محافظات نابلس، والخليل، وبيت لحم، وسلفيت ورام الله، وقد كانت لقاءات متميزة من حيث مضمون هذه اللقاءات لما فيه من رؤية نقدية أبداها الصغار، إضافة لرأيهم في الرواية وأحداثها، وأسلوب عرضهم لها.

تأتي هذه اللقاءات كانعكاس للحماس، والترحيب الذي واكب الرواية من قبل القراء الشباب، والمكتبيّات والمكتبيين الذين عبروا، في غالبيتهم، عن رغبتهم بلقاء الكاتبة لتبادل الحديث معها حول تفاصيل الرواية وظروف كتابتها . من بين هذه اللقاءات كان لقاءٌ في مكتبة بلدية سلفيت، حيث عُقد في الثاني من أيار (٢٠١١) وتمّ بحضور مكتبيّات محافظة سلفيت الخمسة، وطالبات جامعيات، وبعض الأساتذة المتقاعدين. وقد تواجد في اللقاء أساتذة شاركوا واقعياً في تجربة التسلل عبر الحدود من منطقة "الشريعة" في نهر الأردن مؤكدين دقة التوثيق وطاقته التصويرية.

كما كان لقاءٌ آخر في مكتبة بيت جالا في الأسبوع ذاته، حيث عُقد في الخامس من أيار (٢٠١١) والذي شهد حضوراً مماثلاً، من مدرسين، وطلبة، ومكتبيين ومكتبيّات، حيث تنوعت آراء ووجهات نظر الحاضرين، دار بعدها نقاشٌ حامي الوطيس بين من يرى في الرواية حاملة لمضامين تدعو إلى العنف، وبين من يرى نقيض ذلك، وهو ما أثرى النقاش وأعطاه قيمة إضافية. اللقاء الذي تلاه، كان لقاء مكتبة بيت فوريك – نابلس، فقد عُقد في الحادي عشر من أيار (٢٠١١)، وتمّ بحضور خمسة عشر فتىً وفتاة من البلدة، تتراوح أعمارهم بين (١٢ – ١٦) سنة. النقاش في جوهره يحاول فهم العلاقة بين بطلة الرواية ورامي الذي وجدت فيه سنداً وداعماً لها في رحلتها القاسية وغربتها القسرية، استمر الحوار لمدة الساعتين تقريباً، بدا وكأن الفتيات والفتيان اقتربوا من الإدراك بأن مصائر هؤلاء الأبطال في الرواية، لا يمكن أن ينفصل عن مصير المكان الذي يعيشون فيه؛ لأن غالبية الحوادث الشخصية التي مرّوا فيها ناجمة بشكل أو بآخر عن التطورات العامة التي أحاطت بالبلاد في أعقاب حرب (١٩٦٧) واحتلال إسرائيل لفلسطين.

أما لقاء مكتبة إسعاد الطفولة– الخليل فقد عُقد في الحادي والعشرين من أيار (٢٠١١)، بحضور طالبات مدرسة تتراوح أعمارهن بين (١٣-١٦) مع مجموعة من المدرّسات، ومكتبيّات الخليل وكاتبين من المحافظة. وقد أبدت الفتيات رغبة عالية في التعرف إلى الكاتبة شخصياً حيث سألوها عن مؤلفاتها بشكل عام، وعن أول نتاج أدبي لها، واستفهم البعض عن علاقة الكاتبة بالمدينة الأم (الخليل) كون الكاتبة تعود في أصولها إلى المدينة، متسائلات عما إذا كانت ستكتب يوماً رواية عن الخليل. الكاتبة من جهتها أبدت سعادتها بهذه اللقاءات، كما أبدت تقبلها لكل التوجهات النقدية الموجه إلى روايتها، لم تخفِ أثر لقاء الخليل في نفسها، وكأن اللقاء أيقظ فيها شجون الطفولة، وذكريات المكان بكل ما يحمله من جمالية الزمان والمكان.

كتاب في مجلة

عن حكمة الأبواب وعن الانتصار بين هزيمتين

فادي عاصلة

لا شك في أن رواية «آخر الأبواب الموصدة» للروائية ابتسام أبو ميالة، والتي صدرت عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي عام (٢٠١١)، هي رواية أيدولوجية صرفة؛ إذ تفيض بمخزون من الإشارات، والدلالات، والإيحاءات التي تحيل إلى دوائر من الهويات المتداخلة، من هويات إنسانية، دينية، وطنية، هذا في المستوى الأول ثم هوية مكانية، زمانية، ذات علاقة بالنوع الاجتماعي.

وإذ تبدأ الرواية بانسياب موفق، من خلال تقنية سردية تقوم على الحوار المتبادل بين شخصين، الأم، وابنتها، وبالتالي، فإن التقنية السردية تعطي للقارىء حيزاً إدراكياً، فإذا كانت كل قصة تفترض نقطة انطلاق زمنية، فهي كذلك تحتاج نقطة اندماج، من هناك تكون هذه الافتتاحية السردية الحوارية فضاءً يمكن اعتباره مرتكزاً لانطلاقة إدراكية.

من خلال هذا الفضاء المدمغ بالصدق الذي يحاول محاكاة الواقع وتقليده، تصير الشخوص في الرواية خادمة أمينة لهذه المهمة، وهو ما يلاحظ من خلال أدوارها، ومواقعها، ومجالات تحركها داخل الرواية، إضافة إلى البنية الرمزية المشكّلة لكل واحد منهم.

يتضح نجاح أبو ميالة في خلق فضاء روائي متين بشتى مقوماته من لغة وأفكار، من كتابة وأسلوبية متينة مقاربة لواقع معيش؛ فهاجس الزمان من النكبة نحو النكسة يحمل في جوفه كل تلك البنى الشعورية والاجتماعية بما يحويه ذلك من زخم، كل ذاك الأثر من وقع الحدث، وأثر المجال واندفاع التقدم. كان المكان حاضراً بكل ثقله لبناء معالم رمزية في الذات القارئة، انطلاقاً من عنف المكان الواقعي كإطار لصراع يحمل في جوفه هاجساً تاريخياً مُثقلاً. (كوصف سور القدس، وتفاصيل الشوارع، والبائعين – ص٤٦، ص ٤٧، على سبيل المثال).

بين النكبة والهزيمة كانت إيمان تصارع، كانت تجسيداً لأزمة الفتاة الفلسطينية وتعبيراً عن أدوات «ضبطها» الاجتماعي، ومواقع «تشكيلها» من اختيار زوجها وصولاً إلى اختيار مكان سكنها، ثم إلى تحولها إلى أداة من أدوات الصراع، لكنها ليست فاعلة بمحض إرادتها الذاتية، بقدر ما كانت أداة موظفة في ذلك. على الجهة الأخرى كان حسن الذي اختار طريقه بالحسم العسكري في صراعه مع الاحتلال، فصار مقاتلاً في القدس يدفع الصراع إلى ذروته بحيث يصير السلاح، والدم، والموت، والحياة هي ذروة الحالة النضالية لديه. في ظل هذا التفاعل بين الشخوص والزمان والمكان، كانت اللغة بما هي وصف، وتصوير، وتشبيه، واستعارة، حاضرة موظفة بشكل جيد، متضافرة مع الحدث كفاعل تتحدث اللغة من خلاله.

ولكن ثمَّ سؤالٌ يتقافز إلى الذهن، كيف انتهى صراع

المستوى الأول لكل من حسن وإيمان؟ فحسن الذي اختار الصراع المسلح ضد عدوه يفشل في صراعه، ويعود منهكاً ليلاقي السجن بانتظاره، ثم يذهب مجبرا ليبني حياته مع عفاف خارج الوطن، يجر أذيال خيبات وسنين، فيما إيمان الرمز، المتجاوزة لإيمان الشخصية الروائية المحيلة للمرأة الفلسطينية، تنجح في إدارة مشاريع تجارية في القدس، وتتجاوز نجاحها نحو الوصول إلى مبتغاها العاطفي، بل تتجاوز ذلك نحو إدانة الإحتلال الاسرائيلي في عقر داره، أي في المحاكم الاسرائيلية مسترجعة بذلك بيت العائلة المُصادر.

إن هذا الصراع المتبدي والمختتم في الرواية، يحمل في طياته رسائل ضمنية مضمرة، تؤكد على قدرة المرأة الفلسطينية، وعلى نجاحاتها، رغم أنها دوماً الضحية، لكن لأجل أن تقدم أبو ميالة مرافعتها في نصرة المرأة الفلسطينية، قدمت هدية لعدو حسن الأساسي وهو الاحتلال الإسرائيلي، حينما اعترفت ضمنياً بشرعيته، عبر ملاحقة الاحتلال قضائياً في محاكمه، لتصير رسالة مضمرة أن الصراع يمكن أن يُدار في محاكم الاحتلال، ما يعزز عدالتها في مقابل فشل الحل العسكري الذي قاده حسن، وهو بدوره إدانة لفكرة المقاومة المتجسدة من خلال حسن الذي خسر قضيته. هذا الأمر؛ أي آلية اشتغال الشخصيات بما فيه بداياتها ونهاياتها، لا يمكن إغفاله في روايات من هذا النوع، كونها روايات تحاول موضعة النص، وبطبيعة الحال فالموضعة تضفي طابع الصدق الذي يعني أن الروائي يقول لقرائه بأن هذا النص يحمل في جوفه إحتمالية صدق عالية.

ما قلناه أعلاه، ليس تأويلاً عشوائياً، بقدر ما هو سير في مسارات حددتها العلامات في الرواية، وهو كشف للرسائل المضمرة الثاوية خلف مجالات الحدث ونتاجه، وبالتالي فسواء هذا ما أرادت الكاتبة قوله أم لا إلا أنه مقول في الرواية، وبالتالي، كالمعتاد،» الطريق إلى الجحيم معبد بالنوايا الحسنة «. هذا لا يلغي جمالية الرواية، وقدرة الكاتبة على بناء مشروع جميل منساب، يتناول في طياته صراعاً وجودياً بين حدثين مركزيين في التاريخ الفلسطيني، بين النكبة عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين، وبين النكسة عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين، إن معالجة هذا الصراع بين هزيمتين هو انتصار على كليهما.

لقد استطاعت الرواية أن تلغي كل مكامن الهزيمة المكانية، وما تحويه من جغرافيا وحدود، فقد هزمتها منذ أن عبرت الحدود تهريباً، وهزمتها مذ أن أقامت في القدس، وهزمتها حين حققت نجاحات في مشاريعها، كما أنها هزمتها حين بقي داخلها منتصراً يبحث عن مكامن النجاح، ومعاقل الحياة في تفاصيل القدس. كان النجاح حاضراً في حضور التراث الفلسطيني، وانبعاث الأمل المتجدد بعد كل ضمور، وتآكل الأبواب شيئاً فشيئاً ليصير الانتصار قائماً بين هزيمتين.

تجارب وانجازات

أبحاث جامعية في أدب الأطفال

باكورة تعاون مركز أدب الأطفال الفلسطيني والجامعات الفلسطينية

سمر القطب

تقديم:

تحاول مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي النهوض بمركز موارد أدب الأطفال الذي تولت مهامه، بإيعاز من وزارة الثقافة الفلسطينية عندما بادرت بتأسيسه عام (١٩٩٦)، وقد عمدت المؤسسة، في سبيل القيام بهذه المهمة إلى التعاون والتنسيق والشراكة مع كافة القطاعات المعنية بأدب الأطفال، وعلى رأسها وزارة الثقافة الفلسطينية.

وعليه فإن مركز الموارد يطمح إلى رصد، ومتابعة، وتوفير كل ما هو جديد في مجال أدب الأطفال من دراسات وبحوث وتحليلات ونصوص أدبية، ورسومات تساعد في رفد أدب الأطفال المحلي والنهوض به. وبالتالي فهو بحاجة إلى تضافر جهود كافة فئات الكبار المعنيين بأدب الأطفال من آباء، ومربين، وكتاب، ورسامين، وباحثين، وناشرين ونقاد، وبالتالي، دون تضافر جهودهم مجتمعة، لا يمكن الحديث عن مركز موارد متكامل، وفاعل، وقادر على طرح نفسه كأساس ونواة لبنك معلومات وطني في أدب الأطفال الفلسطيني.

لأجل القيام بهذه المهمة، وكإحدى الطرق التي قد تسهم في بناء هذه النواة، توجهت مؤسسة تامر مؤخراً إلى بعض الجامعات الفلسطينية، والتقت بالقائمين على منهاج أدب الأطفال، في محاولة لرصد وتوثيق جهود كل من الباحثين والطلبة

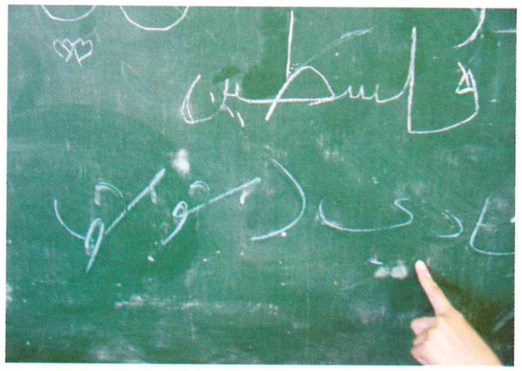

الجامعيين، والحصول على نسخ من أبحاثهم؛ لإيداعها في مركز الموارد باعتبارها جزءاً من المراجع، وذات الدلالة لأي باحث أو صحفي أو كاتب أو معلم يرغب في مواكبة التطورات التي يسجلها هذا الميدان .

الدكتور محمود عطشان، أستاذ أدب الأطفال في جامعة بيرزيت، كان أول المرحبين بالفكرة؛ حيث أعرب عن استعداده للتعاون الذي انعكس من خلال تزويده لمركز الموارد بخمسة عشر بحثاً طلابيا في أدب الاطفال كان قد أشرف عليها بنفسه. المركز من جهته قام بجمع وحفظ الأبحاث في مجلد واحد حمل اسم «أبحاث الطلاب في أدب الأطفال – جامعة بيرزيت».

الأبحاث الخمسة عشر ضمت العديد من العناوين ومن الطلبة الباحثين؛ فقد ضمت «دراسة في أعمال كامل الكيلاني، وهانز كريستان أندرسون» للطالبة تساهيل عبد الرؤوف مفارجة، «تجارب قصصية للأطفال الفلسطينيين والأجانب» لأسماء

جودة ذيب زيتون، إضافة لدراسة مقارنة «الشقاوة في القصص الفلسطيني والسويدي للأطفال» للما ياسين رياحي، وبحث في «تأثير الاحتلال على أدب الاطفال» لعفاف علوي، و «دور الأم في قصص الأطفال المحلية والعالمية» لمنار عبد السلام حسين عمرو، كما كان هناك بحث «صورة الجد والجدة في قصص الأطفال» لدولت ياسين محمد العواشرة، وبحث «الخيال في أدب الأطفال» لإسراء رياض عبدالله أبو مرة، وفي ذات الإطار بحث بعنوان «الخيال في قصص الأطفال» لفادي محمد التلاحمة، كما كان هناك بحث بعنوان «السحر في قصص الأطفال» لوجدان رمضان المصري، وبحث بعنوان «دراسة النهاية في قصص الأطفال» لرندا شريف شحادة شلش، وبحث «هموم الطفل» لأحمد خواجا، كما كان هناك أيضاً بحث «دورة الفصول الأربعة في أدب الأطفال» لعماد رمانة، وبحث «الطائرة في أدب الأطفال: القصة والشعر» لردينة أحمد علي حسن، إضافة لبحث «قصص الزهور في أدب الأطفال» لتهاني رسمي حجاز، وبحث «الثعلب في أدب الأطفال» لنداء حسني أبو رجيلة.

تقديمنا للأبحاث لا يستهدف الحكم عليها أو تقييمها، بقدر ما هو عرض لها وتقديمها للمهتمين، والباحثين، والكتاب، الذين يتفقون بأن ما يعيق عملية البحث، ويؤخر تطورها، هو توزع وتشتت المصادر والمراجع في أدب الأطفال الفلسطيني وصعوبة تقفي أثرها.

عناوين الأبحاث ومضامينها:

حرص مركز الموارد على حيازة هذه الأبحاث ضمن موجوداته؛ نظراً لأهميتها انطلاقاً من كونها في غالبيتها رائدة في الموضوعات التي تناولتها، بالاضافة إلى أنها أبحاث تعتمد منهجية وأساليب بحث أكاديمية سليمة ومكتملة العناصر، حيث أنها قد استكملت تحت إشراف مدرس كفؤ ومختص في أدب الأطفال. الأبحاث الخمسة عشرة المتواجدة حاليا في مركز الموارد تحمل أربعة عشر عنواناً مختلفاً، حيث اشترك بحثان فقط في دراسة موضوع «الخيال في أدب الأطفال»، بينما أربعة منها بُحث من خلال إجراء دراسات مقارنة بين أدب الأطفال المحلي و/أو العربي، والغربي. في حين تناولت بقية الأبحاث عنصرا بعينه من عناصر العمل الأدبي لمناقشته ودراسته.

سأستعرض هنا بسرعة الأبحاث الخمسة عشرة مع تسليط الضوء، بصورة خاصة، على بحث «دراسة في أعمال كامل الكيلاني وهانز كريستان أندرسون» للباحثة الجامعية تساهيل عبد الرؤوف؛ كونه يتناول حقبة زمنية سابقة، ويلقي الضوء على أعمال اثنين من روّاد القرن التاسع عشر في مجال أدب الأطفال في الشرق والغرب، وهو سياق يندر التعرض له من قبل المهتمين بأدب الأطفال هذه الأيام.

- **«دراسة في أعمال كامل الكيلاني وهانز كريستان أندرسون»:** أجرت صاحبته دراسة مقاربة بين أعمال الكاتب المصري كامل الكيلاني والكاتب الدنماركي هانز كريستان أندرسون، واللذان وُلدا في القرن التاسع عشر، واعتبرا رائدان في كتابة الأدب القصصي للأطفال في الشرق والغرب، دون إغفال أعمال كتاب غربيين وعرب آخرين تقدموا أو التحقوا بركب الأدبيين المذكورين.

الفصل الأول من الدراسة أُدرج تحت عنوان " أدب الأطفال بين الشرق والغرب" حيث تمرّ الباحثة فيه على قصص الأطفال المكتوبة بين القرن السابع عشر والقرن العشرين لكتّاب مثل الفرنسي جان دي لافتون، والانجليزيين جيمس جينواي، وفرانسيس أوزبرن، والألماني ويليام جريم، والسويديين لاجيرلوف ولنديغرين، ومن الكتاب العرب أشار البحث إلى نتاج أحمد شوقي، ومحمد الطهطاوي، وحامد القصبي ومحمد سعيد السعران.

أما الفصل الثاني من البحث فيتعرض لنشأة وحياة كل من أندرسون والكيلاني اللذان فقدا معيلهما في سن الطفولة المبكرة، وانتقلا للعيش تحت جناح معيل أو أكثر، فأندرسون ابن العائلة الفقيرة وجد نفسه بعد وفاة ابيه في رعاية القصر الملكي الدنماركي، مما قلب موازين حياته وفتح له أبواب العلم، والمجد، والشهرة، وفرصة التعرف مبكراً على "ألف ليلة وليلة"، والتي يرى البحث أنها تركت بصمات واضحة على فكر وخيال أندرسون، في حين ساهمت مجموعة من العوامل في صياغة وبلورة الحسّ الأدبي للكيلاني؛ فقد عكف خاله سعد اسماعيل على قراءة القصص والأشعار له كل ليلة، إضافة لمربيته اليونانية التي عرَّفته على أساطير الإغريق، كما أثرى خياله ونمَّا الحس الشعري والموسيقي لديه، شاعر الربابة الذي صادفه في مرحلة ما من عمره.

الفصل الثالث من الدراسة تناول العناصر الفنية، التي تضافرت مؤثرةً في أعمال الكيلاني وأندرسون سواء من حيث مضامين قصصهما، أو شخصياتها، أو إطار القصص العام، والحبكة، واللغة، والأسلوب الذي صيغت به تلك القصص.

في سياق الحديث عن المضامين تراجع الدراسة عدداً من القصص لتخلص إلى أن كلا الكاتبين كانا يروجان لأفكار الحرية، والعدالة، والاعتزاز بالنفس، والتسامح، والجرأة في قول الحق، وفي حين ركزّ أندرسون على فكرة واحدة في كل قصة من قصصه، وترك المساحة الأوسع للخيال، والابداع اللغوي، وإمتاع القاريء، نجد الكيلاني مهتماً بإدراج الكثير من الأفكار الهادفة، والعبر، والدروس، في كل من قصصه، وربما كان هذا أحياناً على حساب المساحة المتاحة للخيال في القصة. وفي سياق الحديث عن المضامين أيضاً تشير الدراسة إلى تلاقي الكاتبين في رواية غالبية قصصهما على لسان الحيوانات والطيور، مع التنويه إلى أن عالم قصص أندرسون يبدو أكثر تجانساً، وتشابهاً، بينما يتنوع عالم قصص الكيلاني ويختلف من قصة الى أخرى، وتعزو الدراسة هذا التنوع إلى تعدد وغنى مصادر المعرفة التي تعرض لها الكيلاني، وأثرت في أعماله الأدبية التي بدت متأثرة بالحضارة العربية والإسلامية، وحضارات الإغريق، والهند، والصين، في حين أمضى أندرسون معظم حياته في القصور، وفي كنف الملوك، والأمراء دون أن يتعرض لتجارب حياتية متنوعة.

- **«تجارب قصصية للأطفال الفلسطينيين والأجانب»** تجري هذه الدراسة مقارنة بين كل من القصص الفلسطينية المكتوبة بقلم الأطفال، والقصص المكتوبة بأقلام أطفال أجانب. درس البحث خمس قصص لأطفال فلسطينيين كلهم من قطاع غزة ، حيث تدور قصصهم حول أحداث مرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بانتفاضة الأقصى وتداعياتها. وعلى الجانب الآخر تناول البحث أربع قصص لأطفال أجانب منها الكولومبية، والكوبية، والألمانية، والهندية، وقد تنوعت موضوعات تلك القصص، لكنها اشتركت جميعها في الانطلاق من فكرة خيالية لصياغة نص قصصي جذاب. استفاض البحث في عرض القصص الفلسطينية، ودرس جوانبها الفنية والأدبية، في حين مرّ مروراً سريعاً على القصص الأربعة الأجنبية التي وضعها في بوتقة واحدة، رغم تعدد خلفيات الأطفال الأربعة ومناطق عيشهم. ورغم اعتماد البحث على أربعة نماذج قصصية لم يغص البحث فيها بعمق، إلا أن الباحث/ة اختتم الدراسة بنتيجة مفادها أن كتابات أطفال فلسطين تحمل قيماً إيجابية، وتعكس صدق كاتبيها، وتفاعلهم المرهف مع واقعهم المرير، وهو الأمر الذي «لا تحمله أيٌ من القصص الأجنبية» برأي الباحث وبموجب استنتاجه.

- **" الشقاوة في القصص الفلسطينية والسويدية للأطفال»** تتناول الدراسة موضوع الشقاوة في الأدب الفلسطيني الموجه للأطفال، وفي أدب الأطفال السويدي، من خلال قراءتها، وتحليلها لخمسة نماذج من القصص السويدية وثلاث من القصص الفلسطينية؛ القصص الفلسطينية هي «أنا لست شقيا ، «نص انصيص»، و«دكدوك». بدأت الدراسة بمقدمة نظرية حول مفهوم الشقاوة من الناحية اللغوية، والنظرة الاجتماعية المحلية للشقاوة، ثم انتقل البحث لاستعراض مفهوم الشقاوة في العالم العربي، وأجرى مقارنة بين «الشقاوة الطبيعية لأطفال العالم العربي، وتلك التي يتميز بها أطفال فلسطين والعراق»، باعتبارهما يعيشان في ظل ظروف متشابهة، تدفع بهما إلى ممارسة شقاوة من نوع آخر؛ ويبدو أن البحث هنا قد خرج عن سياقه قليلاً، عندما أورد اسم الطفل فارس عودة الذي استشهد برصاص جنود الاحتلال، كنموذج «للكيفية التي يترجم الطفل الفلسطيني فيها شقاوته»، وهنا نقلنا البحث من استعراض لنماذج الشقاوة في قصص الأطفال إلى نماذج من الواقع الفلسطيني، يصفها البحث على أنها انعكاس لشقاوة الأطفال الفلسطينيين. خصص البحث فصلين منفصلين لدراسة طرق التعامل مع الأطفال «العنيدين المشاكسين»؛ ليوحي بأن العناد والمشاكسة يندرجان في باب الشقاوة، وبأن الأطفال الذين يتصفون بالشقاوة يحتاجون إلى معاملة وعناية خاصة؛ لتجاوز مشكلاتهم هذه.

- **– «دور الأم في قصص الأطفال المحلية والعالمية»**، وهو عنوان محيّر بعض الشيء؛ لأنه يحتمل عدة تأويلات وتوقعات، مثل أنه، أي البحث، سيرصد دور الأم في عملية تطور أدب الأطفال، أو ربما سيرصد الأمهات الكاتبات، أو ربما انعكاس صورة الأم في قصص الأطفال، أو دور الأم في تشجيع أولادها على القراءة. والحقيقة أن البحث حاول تغطية كافة هذه العناوين من جوانب مختلفة، ورغم توفيره للعديد

من المعلومات، والصور، والأمثلة، التي تعكس دور الأم في حياة أبنائها، إلا أن الأمر يختلط على القاريء في بعض الأحيان عندما يطغى التحليل الاجتماعي، والديني، والأخلاقي للدور وأهمية الأم على تحليل حضورها وصورتها في النصوص الأدبية المطروحة للنقاش من قبل الباحث.

- **الأبحاث الأخرى** التي جمعها المجلد حملت عناوين واضحة، وذات دلالات أدبية مباشرة، تعكس مضمون البحث بدقة، فجاءت الأبحاث لتناقش نهايات قصص الأطفال، أو الخيال، أو السحر، أو الأزهار، أو الجد، أو الثعالب، أو الفصول الأربعة في أدب الاطفال، في حين اختار بحث واحد الخوض في هموم الأطفال، واختار آخر دراسة أثر الاحتلال على أدب الأطفال.

المراجع والنماذج القصصية التي اعتمدتها غالبية الأبحاث:

باستثناء البحث المقارن بين قصص الكيلاني وأندرسون، ركزت الأبحاث كلها بصورة رئيسية على أدب الأطفال الفلسطيني المكتوب بأقلام الأطفال، أو المقدم لهم من كتاب كبار. وتوزعت المصادر التي اعتمدت عليها الأبحاث على خمس أو ست دور نشر فلسطينية تصدر قصصا للأطفال، وجاءت كتب مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، ومركز أوغاريت في صدارة الكتب المستخدمة كنماذج في هذه الأبحاث. اشتركت غالبية الأبحاث في الإشارة، إلا أن أحد معوقات البحث التي برزت لديهم تمثلت في نقص، أو عدم وجود مراجع فلسطينية كافية ومفيدة لهم، ما جعل غالبية الأبحاث تعتمد تماماً على الاجتهاد الشخصي في تقييم النصوص التي اعتمدتها، وهو ما خشي الباحثون من أن يكون قد أضعف حججهم ونتائجهم البحثية، لكن، ورغم الإتفاق جزئياً مع هذه الشكوى، لا نستطيع أن ننكر بأن أسواقنا ومكتباتنا العامة تغص بقصص أطفال عربية، ومترجمة، ومنوعة لتشمل القصص عالية الجودة من حيث الشكل والمضمون، وتلك الرخيصة أيضاً بكل ما تحمله الكلمة من معاني. الأمر الذي لا يبرر ضعف وفقر النماذج القصصية الأجنبية التي استخدمت في عدد من الأبحاث، خاصة الأبحاث المقارنة.

كافة البحوث باستثناء ثلاثة منها، استخدمت نصوصاً نثرية كمراجع تستند إليها في دراستها. لكن بحث «الفصول الأربعة في أدب الأطفال» اعتمد بشكل رئيس على نصوص شعرية متنوعة لشعراء عرب، وفلسطينيين معاصرين، وآخرين رحلوا عنا منذ سنوات، مثل ميخائيل نعيمة وغيره. عالج البحث بطريقة أكاديمية دور الشعر المكتوب للأطفال في امتاعهم وإثراء لغتهم، ونقل القيم المختلفة لهم بأسلوب مغنّى وملحن، إلى جانب قيام البحث بقراءة الصور الأدبية التي تضمنتها القصائد التي تعرض لها.

أما بحث «الطائرة في أدب الأطفال» فقد جاء في جزئين منفصلين، أحدهما للنصوص النثرية، والثاني للنصوص الشعرية التي تتناول الطائرة كمضمون ومحور للنص. خلص هذا البحث إلى تمييز الطائرة في القص/ القصص الفلسطينية باعتبارها تجليا لواقع الاحتلال، وطائراته التي ترمز إلى القهر والموت، فيما حملت الطائرة في القص/القصص العربية أحلاما وردية للأطفال ووعوداً بمستقبل مشرق.

فيما بحث «الأزهار في أدب الأطفال» اشترك مع البحث السابق في اللجوء إلى النصوص النثرية والشعرية، وإن جاءت مصادره محدودة وقليلة، واستعرض الصور الجمالية التي وردت في تلك النصوص، من خلال استخدام الزهرة كموضوع ومحور للنص.

اشترك معظم الباحثين الخمس عشر في التوصية بإيلاء أدب الأطفال الفلسطيني المزيد من الاهتمام والبحث، وطالبوا المؤسسات الرسمية، وغير الرسمية بتعزيز ودعم مسيرة أدب الأطفال، وتخصيص الميزانيات المناسبة لها. والحقيقة أن التوصيات التي حملتها غالبية الأبحاث تدفعني هنا للإشارة إلى الدور الريادي المنوط بمركز موارد أدب الأطفال، والذي لو تضافرت الجهود لتغذيته وتعزيز دوره، لحمل جزءاً هاماً من الإجابات على تساؤلات الطلبة الباحثين وغيرهم من المهتمين بأدب الأطفال.

انعكاسات الجغرافيا الفلسطينية على معطيات ونتائج الأبحاث:

اعتمدت بعض الأبحاث في تحليلاتها على نصوص لكتابات أطفال فلسطينيين من الضفة الغربية، وقطاع غزة، والقدس، حيث تركزت اهتمامات الطلبة الباحثين نحو تحليل قصص كتبها أطفال غزيون، تلتها بعد ذلك قصص لأطفال مقدسيين، واحتلت المرتبة الثالثة، والأقل، قصصاً لأطفال الضفة الغربية، وتمحورت غالبية نماذج القصص الواردة حول مواضيع مرتبطة بالحالة السياسية والمعاناة الإنسانية، كالحرب، وجنود الاحتلال، والطفل الشهيد، والبيت المهدوم، والعائلة المهجرة من بيتها.

قد يكون اختيار الباحثين لمثل هذه النماذج قصدياً؛ بمعنى أنه قد يكون اختيارا واعياً، ومقصوداً يهدف إلى التركيز على قضية بعينها تعكس حالة من حالات الطفل الفلسطيني الناجمة عن

أوضاع محددة، لكنها بالتأكيد___ أي هذه النماذج___ لا يمكن تسويقها باعتبارها حالة عامة وشاملة، إنما خاصة بعينة البحث؛ لأن أطفال فلسطين في كل زمان، ومكان هم في النهاية أطفال كبقية الأطفال؛ لهم أحلام أخرى بعيدة عن واقع الحرب، والاعتقال، والموت والقتل.

إشكالية «المسلمات» في قراءة بعض النصوص

برزت إشكالية «المسلمات والافتراضات المسبقة» التي يتبناها الطلبة الباحثون في بعض أبحاثهم، خاصة المقارنة منها؛ ففي أحد الأبحاث خلص الباحث إلى أن الخيال في أدب الأطفال الأجنبي «ما هو إلا وهم كاذب مقارنة بالقصص الفلسطينية التي تعكس واقعاً مريراً وتمتاز بإحساس صادق» . وفي موضع آخر خلص بحث بأن القصص الأجنبية تحتوي « قيماً غير ملائمة وغير مناسبة وهذا ما لا نشاهده في القصص الفلسطينية». وفي موقع ثالث يرى باحث بأن» قصص الأطفال الأجانب نرى فيها تمييزاً عنصرياً وطائفيةً وأنانيةً وعنفاً وجريمةً، لكننا لا نرى هذا في قصص الأطفال الفلسطينيين». أورد هذه الملاحظات لا لأنني أختلف معها أو أناصرها، ولكن لأنني لم أجد لهذه النتائج سنداً ملموساً في متن البحوث التي خلصت إلى هذه النتائج .

إن عدم إدراج أمثلة بعينها، تؤيد أو تدحض المقولات التي أشرت إليها يدفع للتوجس من أن بعض الطلاب الباحثين، قد انطلقوا من بديهيات نظرية، أو من تأثيرات اجتماعية بعينها، أو من مخلفات تربوية خاصة بهم، وحمّلوها لأدب الأطفال.

من بعض المسلمات التي لفتت انتباهي أيضاً هي توصية أحد الطلاب الباحثين بضرورة العمل لتأسيس مكتبات للأطفال الفلسطينيين، انطلاقا من قناعته بأن أطفالنا محرومين من المكتبات، وخطر لي بأن الباحث ربما لا يعلم بوجود مكتبات أطفال في الضفة والقطاع، والتي تفوق المئة مكتبة في عددها، بغض النظر عن حجم وإمكانيات بعض هذه المكتبات. ربما لو عرف الكاتب بذلك لاختلفت التوصية، ولحملت توصيته أفكاراً لجذب الأطفال إلى المكتبات وتشجيعهم على القراءة.

في البحث حول «دور الأم في قصص الأطفال المحلية والعالمية» أفرد الطالب الباحث فصلاً بعنوان «دور الأم في ظل أحكام الشريعة الاسلامية». تعرض الفصل لوضع المرأة في الجاهلية، وما لحق بها من قمع واضطهاد، ثم تطرق إلى بعض تعاليم الإسلام التي رفعت مكانة المرأة من خلال نصوص قرآنية وأحاديث نبوية. وإذا ما افترضنا بوجود علاقة بين هذا الفصل، وبين دور الأم في أدب الأطفال المحلي، كنا سننتظر من الباحث أن يشير الى دور ومكانة المرأة في الديانات، أو الثقافات الغربية التي استخدم بعضاً من قصصها عند مقارنة الأم الفلسطينية بالأم الغربية في الأدب المكتوب للأطفال؛ لخلق نوع من التوازن، ولعدم الابتعاد عن الموضوعية في التحليل وعند التوصل إلى النتائج. هذا، وبالرغم من الإطراء النظري في طيات البحث على الأم الفلسطينية وتفانيها وحنانها المتدفق، خلص البحث إلى أنها بحمايتها الزائدة لطفلها___ كما جاء في النصوص التي تمت معالجتها___ فإنها تحد من نموه العاطفي، والفكري، والنفسي بتقييدها له ولإمكانياته، في حين أن طبيعة الأم الغربية، وطريقة تربيتها لأولادها، تفسح المجال واسعاً لهم لاكتشاف العالم والإنطلاق بخيالهم وطموحاتهم.

خلاصة

في النهاية، إن كل ما ذُكر سابقاً لا يقلل أبداً من أهمية هذه الأبحاث والجهد المبذول فيها؛ خاصةً وأن دراسة أدب الأطفال في الجامعات الفلسطينية هو مجال حديث جداً؛ إذ تكاد تخلو الجامعات الفلسطينية من أية دوائر أكاديمية متخصصة في أدب الأطفال، وكل ما يتم إنتاجه حتى الآن هو مبادرات فردية من محاضرين، وأكاديميين، وطلبة في كليات التربية والآداب.

هذا بالاضافة إلى شُح المراجع والاحصاءات التي يُمكن أن يستفيد منها الطلبة الباحثون؛ للنهوض بأبحاثهم والارتقاء بها، ما يجعل الأبحاث التي بين يدينا باكورة وقاعدة للانطلاق بمشروع وطني للنهوض بالبحث والنقد في أدب الأطفال.

السرايا تجربة رائدة؛ لتمكين الوجود الفلسطيني في البلدة القديمة في القدس

تأسس مشروع السرايا عام (١٩٩١) من خلال «جمعية الرعاية « المؤسسة الأم للمشروع، وقد جاء تأسيسها كردٍ على الهجمة الاستيطانية التي تسعى إلى تهويد القدس بكل الأشكال والوسائل، نظراً لمعاناة المقدسيين من عملية استهداف القدس، وتفريغها من أهلها، وتدمير البيئة الاجتماعية، والثقافية، والتعليمية مع ما يحمله من تهديد للقيم، والهوية، وزيادة معاناة المقدسيين على كافة الأصعدة؛ فجاء مشروع السرايا بهدف تقديم خدمات، وبرامج تعليمية، ثقافية تربوية، إضافة إلى برامج اقتصادية للنهوض بالمجتمع وتمكينه.

من خلال المشروع تم العمل على قضايا المرأة والطفل والشباب، حيث تم إنشاء مكتبة، وقسم كمبيوتر؛ لدعم البرامج التعليمية، والثقافية، إضافة إلى أقسام وبرامج أخرى؛ لدعم المرأة وتمكينها اقتصادياً وتعليمياً، خاصة برامج محو الأمية، والتعليم الموازي، وذلك بالتعاون مع مديرية التربية والتعليم الفلسطينية.

في إطار دعم الأطفال والشباب، والتخفيف من حدة المشاكل التي يعانون منها، خاصة في مجال التعليم والثقافة تمت مباشرة العمل، عام (٢٠٠٤) بدعم من مؤسسة دياكونيا، ببرنامج تشجيع القراءة «أدب الأطفال» الذي استهدف أطفال من عمر(٨-١٦) سنة؛ لحثهم على قضاء وقت مفيد، يتم العمل فيه على صقل شخصية الأطفال، ومساعدتهم على التعبير عن أنفسهم، وتعزيز انتمائهم، وهويتهم، ومنعهم من التسرب، وتحسين وضعهم التعليمي والثقافي، ومساعدتهم على تنمية مواهبهم، وقدراتهم، بطرق غير تقليدية يتم استخدامها في العملية التعليمية؛ ما كان له أكبر الأثر في مساعدة العديد من الطلاب الذين كانوا يعانون من مشاكل متعددة، وساعدهم على البدء في تحديد خياراتهم في الحياة.

بموازاة ذلك قام المركز بتقوية الفريق الذي يعمل في أدب الأطفال؛ ليصبح قادراً على إعطاء فعاليات مميزة في مجال عرض القصة، الحكاية الشعبية، الدراما، الرسم، الدبكة الشعبية الفلسطينية.

المركز الذي انطلق بعدد محدود من الأطفال، لا يتجاوز الـ (٦٠) طفلا سنوياً، امتد في مشروعاته من خلال العمل داخل المدارس في البلدة القديمة وخارجها ليصل إلى (٤٠٠) طفلا سنوياً، ومن خلال هذا المشروع يسعى المشروع لتعزيز العديد من المفاهيم والقيم، والعمل على تغيير سلوك الأطفال الذين يعانون من مشاكل جمة نتيجة لوجودهم داخل القدس.

البرنامج حقق نجاحات عديدة على الأصعدة كافة، حيث أصبح لدى المركز فريق عمل متمكن في مجال أدب الأطفال؛ قام بتدريب معلمين ومعلمات من المدارس؛ لمساعدتهم في طرق وأساليب ممتعة في التدريس، بالإضافة إلى وجود عدد كبير من الأطفال الذين أصبحوا، عبر العمل التراكمي، قادرين على العمل مع أطفال آخرين، وجذبهم للمشاركة

بنشاطات المركز. إضافة إلى تكوين مجموعات من الأمهات الداعمات للبرنامج والمركز بشكل عام، واللواتي استطعن القيام بقراءة القصص داخل المدارس بعد تدريبهن على مهارات القراءة للأطفال، ومعرفة في مجالات أخرى متعددة.

إن العمل مع الأطفال كشف عن العديد من المواهب في مجال الرسم، والفن، والكتابة، والرقص الشعبي، والتمثيل، وبناءً عليه فقد تم تشكيل فرق دبكة بأعمار مختلفة، ومجموعات أطفال قامت بتمثيل وعرض العديد من المسرحيات والمقاطع، في مجال حقوق الأطفال، والانتهاكات التي يتعرضون لها في القدس.

الأطفال الذين تحولوا إلى طاقة فاعلة في المناسبات المختلفة، كيوم الطفل الفلسطيني، ويوم الطفل العالمي، وأسبوع تشجيع القراءة، وفي المسابقات المختلفة المتعلقة بعالم الكتب والقراءة، استطاعوا أن ينجحوا في تخطي ظروفهم؛ لأجل تحقيق ذواتهم، وتحقيق انجازات حقيقية بموازاة ذلك.

تتوجت هذه المشاريع، من قبل المركز، بإصدار مجلة سنوية بعنوان «الرحالة الصغير»، والتي تتضمن الفعاليات والمواضيع التي تمّ انجازها أو مناقشتها مع الأطفال.

المركز الذي يسعى إلى تطوير مشروعاته بما يخص الطفل وموقعه، يرى أن العطاء مايزال مستمرا، ومازال هناك ما يجب أن يُطور وينتج؛ نظراً للوضعية الخاصة التي يعانيها المقدسي، في القدس عامة، وفي البلدة القديمة خاصة، والتي تتطلب بالتالي مجهوداً جباراً مستمراً.

قصة نجاح الطالب محمد كفرعاني

محمد هو طالب في الصف الرابع، عمره (١٠) سنوات و يسكن في أحد أحياء البلدة القديمة. التحق محمد ببرنامج أدب الأطفال في شهر كانون الثاني (٢٠١٠) بناءً على توصية من عمته. في البداية لم يكن لدى محمد أي نوع من الانضباط في السلوك؛ حيث كان شخصا غير اجتماعي، لديه صعوبة كبيرة في التعبير، إضافة الى صعوبات في التعلم. محمد يتعرض باستمرار للعنف في المدرسة من قبل المعلمين و الطلاب، و هو طالب ضعيف لم يكن لديه القدرة على الدفاع عن نفسه، و ثقته بنفسه تكاد تكون معدومة، لدرجة أن كثيرا من الطلاب، في بعض الأحيان، ظنوا أن لديه مشكلة في الكلام. الآن، و بعد مرور سنة ونصف على العمل مع محمد، من خلال برنامج أدب الأطفال، و من خلال استخدام القصة الهادفة، أصبح محمد شخصا قادراً على التفريغ، و التعبير عن نفسه شفهياً. لدرجة أنه أصبح قدوة للطلاب في موضوع التعبير عما يدور حوله؛ فهو قادر على إدراك حقوقه في مجال التعليم، والحماية، والتعبير عن الرأي، وهو أمر ملحوظ من قبل من حوله إن كان في البيت، أو المدرسة أو المركز.. فعلى سبيل المثال عندما تم إعطاء الطلاب موضوع مشاكل التعليم كان محمد أكثر الطلاب جرأة في التحدث عن تجربته في موضوع العنف المدرسي؛ فقد قال:«إصبعي أكبر شاهد على تعرضي للعنف من قبل المعلمة» من هنا تم العمل مع محمد لمساعدته في وضع حلول لمشاكله. وايماناً من أهله بدور المركز في تطوير شخصيته؛ فقد التحقت أخته حديثاً بالبرنامج.

مكتبة السرايا.

ملف رسومات الأطفال

أهمية التنوع في تنمية التذوق

ليلى بطران

تبني كل قصة عالماً خاصاً بها، ويتميز هذا العالم بأجواء خاصة، وشخصيات ذات صفات خاصة، تتحرك في زمن ومكان خاصين، وتتعرض لظروف وأحداث خاصة أيضاً، ونهاية خاصة. يخضع هذا العالم ومواصفاته إلى خيال ورأي وثقافة الكاتب الذي بناه. أما من خلال الرسومات، فننظر إلى هذا العالم بعيون الرسام الذي عبر عن هذا العالم الخاص بفنه وبفكره وبثقافته. أي أن الرسام، وقبل أن يعبر عن عالم قصة ما، يكون قد قرأها، واستملكها، وأعاد روايتها بأسلوبه الخاص.

إذا سلمنا أن كلّ نص يُفرز نصوصاً بعدد قرائها، أي أن كل قارئ لنص ما يشكل في ذهنه نصه الخاص والمتأثر بمفاهيمه، وذوقه، وتجربته، وثقافته؛ وإذا سلمنا بأن كل قارئ يشارك الكاتب في إبداع عالم خاص، فإننا نستنتج أن كل رسام سيقرأ هذا النص ويستملكه، ويعيد إنتاجه حسب رؤيته الخاصة، لكن أيضا حسب أسلوبه الفني الخاص به. من هنا، لو طلب من خمسمئة رسام أن يرسموا النص نفسه، لا بد أننا سنحصل على خمسمئة صيغة مختلفة لهذه الرسومات، وتخضع كل صيغة من هذه الصيغ المختلفة إلى فهم وثقافة كل من رسمها، لكنها تخضع أيضا لأسلوبه الفني؛ فهذا الرسام يرتاح للأسلوب الواقعي، وذاك للأسلوب الفكاهي، أوالخيالي... هذا يفضل استخدام الألوان المائية، وذاك الألوان الزيتية، هذه الرسامة تبنت أسلوب الحفر، وتلك فضلت التصوير الفوتوغرافي، أو استخدام الكولاج، أو تكوين مجسمات، هذا الرسام ينتج أعمالاً تطغى عليها السوداوية، وتلك الرسامة ترى الدنيا بعيون متفائلة وألوان زاهية.

فلنرجع خطوة إلى الخلف، وقبل أن نضع في المواجهة إرادة الكاتب وإرادة الرسام، هنالك إرادة وقرار يجب أن يعبران عن نفسيهما: ألا وهي إرادة وقرار الناشر، أو المدير الفني الذي يمثله، وطبعا، لهذا الناشر، أو لهذا المدير الفني رؤية، ومزاج، وثقافة ما، وطبعا سيكون له أيضا قراءته الخاصة لهذا النص، وهو أيضا سيشارك الكاتب في بناء عالمه، وأجوائه الخاصة؛ فهذا المدير الفني سيعتبر أن قراءته الخاصة لهذا النص تتطلب أسلوباً حديثاً، وبألوان مائية بخفة الريح، بينما سيرى مدير فني آخر أن النص ذاته، وحسب قراءته له، يستوجب رسومات كلاسيكية، وبأجواء رصينة؛ بينما سيفضل مدير فني ثالث التعبير عن هذا النص بأسلوب كاريكاتوري، أو بأسلوب فكاهي، وبأجواء شرقية، أو خيالية، أو بنظرة سوداوية، أو متفائلة، وستتحكم قراءة المدير الفني الخاصة باختيار رسام يعرف أن أسلوبه في الرسم يناسب قراءته للنص المكتوب. ومع ذلك لن يتمكن هذا المدير الفني من قراءة النص مكان الرسام المختار، والذي سيكون له، بدوره، قراءته الخاصة لهذا النص، يعبر عنها حسب مفهومه وثقافته. وكل ما يمكن أن يفعله

المدير الفني، هو أن يتدخل لمناقشة النص، أو التعبير الفني مع الرسام. ولا نستغرب، في هذا المجال، أن نجد حول النص نفسه، أو القصة نفسها رسومات مختلفة باختلاف قراءة الرسام وأسلوبه الفني، لكن أيضا باختلاف دور النشر ورؤيتها الخاصة. ويكفي أن يبحث المرء من خلال الإنترنت عن عنوان قصة مشهورة مثل «القط ذو الحذاء السحري»، أو «بياض الثلج» مثلا؛ ليجد رسومات باختلاف أنواعها، ومزاجاتها، وتاريخ إنجازها.

وهكذا، من الطبيعي أن نجد بين أيدي أطفالنا كتبا متنوعة بتنوع المدارس الفنية، وبتنوع أساليب الرسامين، وتنوع قراءات هؤلاء الرسامين للنصوص، ولم لا؟ فكيف يمكن أن نطور ثقافة أطفالنا، وذوقهم الفني، وآفاقهم إن لم يتعرضوا إلى أجواء، وأساليب فنية مختلفة؛ توسع آفاقهم ومداركهم!. فلنتذكر الدراسات التي وجدت بأن أطفال العالم الغربي الذين تعودوا على أكل الأطعمة المحفوظة التي تدمج عدد كبير من الخضار واللحوم، والممزوجة معا، لم يعد بإمكانهم تذوق الفرق بين الأطعمة المختلفة، وهكذا، فالطفل الذي تعود على نمط واحد من الرسم يصعب عليه تذوق أنماط مختلفة.

إلى جانب هذه المدارس الفنية المختلفة يجب اليوم أن نتذكر التقدم الهائل، والتنوع في مجالات الإخراج الفني، فنجد كتبا تستدعي قراءتها بشكل دائري، أو نشعر أن الكتاب ينفجر بين أيدينا من صخب الألوان وصخب الإخراج، أو تزيغ عيوننا، ونحن نحاول قراءة خطوط تختلف من كلمة إلى كلمة، لدرجة أن اختلاف الخط وحده يحكي لنا قصة متكاملة، وله معانٍ تضاف إلى معاني النص ومعاني الرسومات. ويجب أن نعترف أن الطفل الذي تم تعرضه لهذه الوسائل الجديدة؛ سيتمكن من قراءة أي كتاب كان، مهما كان إخراجه متجدداً، أم مختلفا. وبعكس ذلك، يبقى الطفل الذي اعتاد على الإخراج التقليدي مندهشاً، مستغرباً، وفي كثير من الأحيان يبتعد عن هكذا كتاب دون إعطائه أية فرصة ليحظى بحب الطفل أو عدمه. ألا نقول لأطفالنا: تذوق هذا الطعام أولا، وثم قرر إن أردت أكله أم لا؟ فماذا يفعل هذا الطفل إن لم يتعلم كيف يتذوق الأطعمة المختلفة، وإن بقيت آفاقه الذهنية مسجونة في نمط واحد؛ النمط التقليدي؟

مع الأسف، لو ألقينا النظر على تشكيلة الكتب المتوفرة بين أيدي أطفالنا، نكتشف أنه في كثير من الأحيان، يبقى التنوع وهماً، وهما نتمنى تحقيقه، لكنه، يبقى، برغم بعض المحاولات الجادة، وهما عنيداً مايزال تحقيقه بعيد المنال.

تكفي نظرة سريعة إلى كتب أطفالنا لنرى أن غالبية رسومها تكتفي بتزيين النص حرفياً، ولا ندري ما تكون رواية الرسام الخاصة لهذا النص، حيث لا نجد أثراً لتعبيره الفني المبدع، وإذا حاولنا أن نصف هذه الرسومات، فنجد ثلاثة أنماط مسيطرة على مكتبة أطفالنا؛ فهنالك الرسومات التي تشبه رسومات «والت ديزني»، أو بالأحرى نمط رسومات والت ديزني المتحركة، والتي نجدها عامة على جدران وأبواب رياض الأطفال؛ أو أننا نجد كتبا تتبنى أسلوب الكاريكاتور، أما النمط الثالث؛ فهي الرسومات التي تقلد رسوم الكتب المدرسية الغربية في بدايات القرن الماضي. وبعد هذه النظرة السريعة، يجدر بنا أن نتساءل: «ما هي مشكلة رسومات والت ديزني؟ هل هي سيئة لهذه الدرجة؟ وما بها الرسوم الكاريكاتورية؟ وهل الكتب المدرسية الغربية في القرن الماضي سيئة لهذه الدرجة؟».

صحيح أن رسومات الكتب المدرسية لا تناسب الكتب الأدبية، حيث أنها تقتصر على تفسير النص وتزيينه، كما أن رسومات الكتب المدرسية الغربية لا تناسب بيئتنا، وتغرس لدى قارئنا الصغير عقدة الغرب، فيا حبذا لو يختفي هذا النمط من كتبنا الأدبية. لكن فيما يخص الكاريكاتور، فالوضع يختلف حيث أنه لا ضرر بأن يكون هنالك في مكتبات أطفالنا بعض الكتب التي تتبنى أسلوب الكاريكاتور إن استدعى النص ذلك، وإن ارتاح الرسام لهذا النمط، لكن التنوع، في كافة الأحوال مطلوب، وإلا فنكون قد حجمنا ذوق وآفاق أطفالنا. أما فيما يخص الرسومات التي تشبه رسومات والت ديزني، فهي وبحق على قدر من الجمال والإبداع، لكنها تبقى من إبداع والت ديزني ليتبادر السؤال التالي: « لماذا نقبل التقليد؟». وفي حال اعتبرنا أن رسومات والت ديزني قد أصبحت نوعاً فنياً أو مدرسة فنية؛ ففي هذه الحالة، من حقنا، كقراء، أن نطالب برسومات لا تقل إبداعاً وبراعة عن رسومات والت ديزني، بل مُضافاً إليها شخصية وإبداع الرسام، لا أن تقتصر الرسومات على التقليد والنمطية دون أية شخصية. وعلى أية حال، إن أردنا أن نوسع آفاق أطفالنا الفنية، ومداركهم، لا بد أن نضع بين أيديهم كتباً متنوعة، وليس فقط الاكتفاء بما تقدمه والت ديزني، مهما كان انتاجها بارعاً!.

لكن، وفي خضم هذه الملاحظات غير المشجعة، لا بد من الملاحظة بأن مكتبتنا العربية بشكل عام، بما فيها مكتبتنا الفلسطينية،

أصبحت واعية لأهمية الرسومات وتنوعها، وإبداعها في تكوين ذوق أطفالنا الفني، وإبداعه، وأصبح بالإمكان تكوين مكتبة صغيرة يقرأها أطفالنا دون تشويه ذوقهم الفني، ودون تحجيم قدراتهم الإبداعية. منها طبعا كتب الدار الفلسطينية «دار الفتى العربي» والتي تمكنت من إرساء معايير جودة لرسومات كتابنا العربي، وبعض الكتب التي نشرت مؤخراً مثل «الهيطلية»، و«التاء المربوطة» الصادرة عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي. أما في مصر مثلا يمكن أن نذكر دار الشروق العملاقة، ودار النهضة، ودار إلياس، ودار بلسم والتي أصبح انتاجها متنوعاً ومبدعاً فيما يخص الرسومات. وفي لبنان دار الخياط الصغير، ودار أصالة، وتالة، وقنبز، ولا بد من أن بعض قراء هذه الكتب النوعية، سيكبرون ليصبحوا رسامين مبدعين، يطورون بدورهم معايير الجودة وذوق وآفاق قراء المستقبل والذين سيكونوا، بدون شك، متطلبين بذلك أكثر من جيل آبائهم؛ فتنمية الذوق وتطوير الرسومات عملية ديالكتيكية تعمل في كلا الاتجاهين.

غلاف قصة التاء المربوطة تطير.

مراجعة كتاب:

«صورة الطفل في رسومات كتب الطفل الفلسطيني»

أحمد حنيطي

صدرت هذه الدراسة عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي سنة (٢٠١١)، وهي من إعداد وليد إحشيش ويمنى البطران، تتضمن صفحات الدراسة الـ (١١٢) ملخصاً باللغة العربية، وآخر بالإنجليزية، إضافة لمنهجية البحث، والنتائج ومناقشة النتائج والتوصيات، تُضاف إلى الملاحق التي وردت وحدها على (٥٥) صفحة.

هذه الدراسة أجريت بالتزامن مع دراسة في مصر بعنوان «صورة الطفل في رسومات كتب الطفل المصري»، ودراسة أخرى في لبنان بعنوان «صورة الطفل في رسومات كتب الطفل اللبناني». والموضوع الذي تتناوله جدير بالاهتمام والتطوير، وأيضا تثير الدراسة الكثير من الجدل. إن الإضافة المعرفية التي تقدمها هذه الدراسة هي إضافة بينة وجلية، ورغم النقد الكثير الذي يمكن أن يوجه إليها، والذي سنتحدث عنه في الجزء الأخير من هذه الورقة، إلا أن الجدل الذي تثيره هو جدل ضروري ومهم في هذه المرحلة من أدب الأطفال الفلسطيني، كونه جدل معقد بحاجة إلى الكثير من الدراسة والبحث والنقاش.

يظهر أن الكاتبين ضليعان بأدب الأطفال، رسماً ونصاً وإخراجاً وصناعةً؛ فهما يعملان في هذا الحقل منذ فترة ليست قصيرة، حيث أن تجربتهما وخبرتهما جديرة بالاحترام والتقدير، رغم أنهما غير متخصصين أكاديمياً في هذا المجال.

اعتمدت هذه الدراسة على جميع الكتب التي وصلت إلى أيدي الباحثين، وصدرت بين عامي (٢٠٠٦-٢٠١٠)، بلغت (٣٥) كتاباً مصوراً للأطفال، منها (٣٢) كتبها ورسمها كبار للصغار، منها كتابان شعبيان، وثلاثة كتب رسمها وكتبها أطفال، وتحتوي الكتب الثلاثة الأخيرة مجتمعة على (١٧) قصة. كما وتتوزع الكتب على ثلاث دور نشر فلسطينية: مؤسسة تامر (١٦ كتابا)، مؤسسة أوغاريت (١٤ كتابا)، ومركز بديل (٥ كتب). وجميع تلك الكتب تتناسب مع الفئة العمرية من(٤-١٢) سنة. استخدم الباحثان المنهج الكيفي عبر تحليل المضمون، ثم استعانا بالمنهج الكمي في تحليل النسب المئوية، والجداول التكرارية لعرض النتائج المتمثلة في صورة الطفل في كتب الأطفال. وفي جزء آخر اكتفيا بتقنية تحليل المضمون من المنهج الكيفي. وقام الباحثان بتسجيل مجموعة بؤرية تكونت من ثمانية أطفال (اثنان منهم ذكور)؛ لفحص تماهي الأطفال مع الرسومات، وتتراوح أعمار أطفال المجموعة البؤرية من (٩-١٣) سنة.

حدد الباحثان مشكلة الدراسة بالسؤال: «ما هي صورة الطفل في رسومات كتب الأطفال المنشورة في فلسطين منذ عام (٢٠٠٦)، ومدى توافقها مع الصورة التي أظهرتها النصوص المكتوبة وآمال وطموحات الأمة؟».

أظهرت الدراسة أن الصورة الأبرز للطفل الفلسطيني، كما أظهرتها الكتب المبحوثة، هي: وحيد في أغلب الأحيان، عصري ومحب للعب، جريء ومغامر وواثق من نفسه، ومبادر ومفكر، وحالم ورومانسي في كثير من الأحيان، كما أنه لا ينفصل عن صورة الفلسطيني المناضل صاحب الحق المسلوب (ص٥٧). كما أظهرت النتائج أن الطفل «يستطيع التماهي مع الرسومات في

كثير من الأحيان، إلا أنه لا يزال هناك عدم وضوح مقنع بأن فيها مسحة فنية، أو فسحة للخيال يستطيع أن يشغل عقل الطفل كثيراً» (ص٥٧).

رغم الأهمية الكبيرة لصورة الطفل، كما أظهرتها رسومات كتب الأطفال المبحوثة، وما تثيره من جدل ونقاش، إلا أن الأهمية الكبرى باعتقادي تتعلق بالايحاءات التي قدمتها نتائج الدراسة، وتحدث عنها الكاتبان في مناقشة النتائج؛ فالدراسة تعكس صورة سلبية لواقع رسومات كتب الأطفال في فلسطين، فحسب وجهة نظر الكاتبين، عكست الدراسة ضعف مهارات وإمكانيات الرسام الفلسطيني، وقلة معرفته بمدارس الرسم العالمية، وهذا الضعف ناتج عن عدم دراسة الرسامين الفلسطينيين بمعاهد وكليات فن متخصصة، فكانت تجاربهم في الرسم ناتجة عن ميول وهوايات شخصية، لذلك كانت الألوان، والديكورات، والخلفيات تعتمد بشكل أساسي على ثقافة وأذواق الرسامين؛ فجاءت الكثير من الرسومات متقشفة وسطحية؛ ما حد من قراءة الكتب، وحد أيضاً من تنمية الثقافة البصرية والفنية لدى أطفال فلسطين، كما عبر عن ذلك الكاتبان (ص٥٧-٥٨).

أما الاشكالية الأخرى التي أشارت إليها الدراسة، وتحدث عنها الكاتبان في أكثر من مكان في دراستهما، هي العلاقة بين النص والصورة (الرسومات)، وهذا هو موضوع يثير الكثير من الجدل والنقاش؛ إذ رأى الكاتبان أن الرسومات لم تخرج من التفسير الحرفي للنصوص (٥٧). هناك عدة آراء ومدارس توضح العلاقة بين النص والصورة (الرسومات)، أهمها من يرى أن الرسومات هي رواية أخرى للنص؛ لذلك يجب أن لا تتقيد كثيراً بالنص، وألا تحاول تفسيره بشكل حرفي، وإنما هناك مساحة واسعة وكبيرة للرسام كي يبدع ويطلق خياله في كتابة النص رسماً. ويبدو أن هذه الثقافة غير سائدة، أو غير ناضجة لدى الكتاب والرسامين الفلسطينيين على حد سواء، فكاتب النص ما زال يعتبره المرجعية الأولى للحكم على رسومات نصه، والعلاقة بين الكاتب والرسام ليست علاقة ندية ومتوازنة، وإنما علاقة تابع ومتبوع، أي الرسومات تتبع النص بشكل حرفي، وربما يمكن قراءة هذا الاجحاف بحق الرسام، بأن الرسام غير قادر على تقديم صور مقنعة وعميقة لما يوحي به النص، أو «أن الرسام/الرسامة لا يثق بقدرته/ها على التعبير من خلال الرسومات، ويعوض عن هذا التعبير بالنمطية، والرموز، وبالنقل الحرفي، والتفسيري، والمباشر للنص» (ص٥٨)؛ فالرسام كما كاتب النص، بحاجة إلى البحث والدراسة للموضوع الذي يريد رسمه، وكذلك المعرفة الثقافية والاجتماعية والسيكولوجية للفئة العمرية التي يرسم لها، وهذا ما تفتقر له كتب الأطفال في فلسطين، على الأقل في جانب الرسومات.

بعد هذه الصورة السلبية لواقع رسومات كتب الأطفال الفلسطينية، فهناك ما يبشر بالخير، حيث يرى الكاتبان أن هناك تطوراً واضحاً في صناعة الكتاب ومهارة الرسامين، حيث لاحظ الكاتبان الفرق الحاصل بين الكتب المنشورة في (٢٠٠٦) والكتب المنشورة في (٢٠١٠) لصالح التطوير والتحسين؛ تمثّل ذلك في أول تجربة يمكن اعتبار الكتاب فيها وحدة واحدة، يتضمن عناصر مختلفة تخدم بعضها: النص، الرسومات، والإخراج، وصناعة الكتاب، كانت لكتاب «عمر وهاها»(ص٥٩).

في الانتقال إلى النقد الذي يمكن أن يوجه إلى الدراسة؛ فإن أولى تلك الانتقادات هي طريقة استخدام المراجع، فهناك عدم دقة في التوثيق، ويوجد خلل في استخدام جميع المراجع في متن النص، حيث وضع التوثيق في بداية ما تم أخذه من المرجع أو الاقتباس (ص١٦، ص١٥)، وهناك مراجع ذكر اسم الكاتب فقط (ص١٥، ص١٦، ص١٨، ص٢١)، أو اسم الكاتب والسنة بدون الصفحة، رغم استخدامهما لاقتباس، وأحيانا حدود الاقتباس غير معروفة (ص١٦). كما أنه يوجد توثيق لمرجع في المتن دون ذكره في قائمة المراجع، وفي اعتقادي أنها أخذت أو اقتبست من دراسة أخرى تم مراجعتها في هذا البحث، ولكن هذا لم يتم توضيحه بالشكل العلمي.

يتحدث الكاتبان عن المرجعية الثقافية للرسومات والمدارس الفنية، وهي كما ذكراها: الواقعية، والرومانسية، والانطباعية، والفطرية (ص١٨). وهي اقتباسات مأخوذة من الدليل الثاني لأدب الأطفال في فلسطين، وضعته يمنى البطران، لكن الكاتبان هنا لم يتجاوزا ذكر أسماء المدارس، وكان الأجدر بهما الحديث، ولو بشكل مختصر، عن تلك المدارس، والاستفادة منها في تحليل النتائج.

انتقاد آخر يمكن توجيهه لهذه الدراسة، هو أنّ النماذج التي تم تحديدها كمعايير لاعتبار أن هذه الرسومات تعكس صورة معينة للطفل، مثل المغامر، الضعيف، الشجاع، وغيرها، لم تضع توضيحا لتلك التعريفات؛ فتعريف المغامر الذي تبنته الدراسة، مثلا، واعتبر معياراً لتحديد الصفة أو الصورة، ماذا يعني؟ وهذا باعتقادي عمل كان يجب على الباحثين القيام به.

أرجو أن تشكل هذه الدراسة إلهاما ودافعا عند العاملين والمختصين بأدب الأطفال لعمل دراسات أخرى حول رسومات أدب الأطفال؛ تساهم في نهضة هذا القطاع وتطوره والرقي به، لخلق جيل مبدع ومثقف.

دلالات الصورة في رسومات أدب الأطفال (من اللون إلى الحركة)

شيماء فاروقي

رسومات الأطفال عالم واسع جداً، إذ أصبح يُعتبر عالماً قائماً بذاته، حيث يجب الإهتمام به كأي فن آخر. في أدب الأطفال العربي يتم التركيز، وللأسف، على النص دون إكتراث بالرسومات؛ ففي كثير من الأحيان يتم نقد النص بمعزل عن الرسومات المرافقة له، كما أن نقد الرسومات عندما يحصل___ رغم قلة الالتفات إلى الرسومات في النقد___ يأتي بشكل مزاجي وغير علمي أو مهني، مع أن المفترض أن تكون الرسومات عاملاً أساسياً، ومهماً جداً في جذب الطفل إلى الكتاب وتشجعه للبدء في قراءته. فعلى الرسومات أن تروي القصة بنفسها من حيث تسلسل الأحداث، ويمكن للناظر إليها أن يفهم القصة دون قراءتها. «عندما نتكلم عن رسومات قصة، فإننا نعني رسومات روائية. فالرسام يروي قصة للجمهور من خلال سلسلة رسومات تربط بينها علاقة متطورة ذات إيقاع محدد، منوع وغير ممل، هذا الإيقاع، يشكله كل خيار يتخذه الفنان خلال عمله، سواء أكان المشهد الذي يرسمه، أو الألوان التي يستخدمها، أو زاوية كل مشهد. فالرسام راوٍ لكنه راوٍ من نوع آخر، يروي لنا قصته بالألوان والخطوط»[٣].

في هذه الورقة سأقارن بين رسومات ثلاث قصص وهي «عمر وهاها»، «هيطلية»، و«مغني المطر»، من ناحية الألوان ، الزوايا، الحركة، ملامح الوجوه والتوافق مع النص.

غلاف كتاب مغني المطر

الألوان

تبدو ألوان قصة "عمر وهاها" طفولية جداً، ناصعة وجذابة، توحي بروح المرح والطفولة، فنلاحظ تغير الألوان بين الفرح والحزن، حيث كانت مشرقة في بدايتها، لكن حين أوقع عمر الكعك زادت قتامة الألوان ما يوحي بحدوث أمر ما سيء. هناك مشكلة في صفاء ونظافة الرسومات؛ فالسواد طغى على جمال الألوان. وقد كان من الأجدى جعل ألوان الخلفية وراء عمر وهو يأكل الكعك مبهجة أكثر بما أنه سعيد بذلك.

وفي أماكن عدة تبدو القصة مليئة بالحركة، وقد نجحت الرسامة بإظهار ذلك من خلال الألوان المتعددة، بعكس قصة هيطلية التي

٣. البطران، ليلى. (٢٠٠٦). حول رسومات كتب الأطفال في أدب الأطفال، رام الله: وزارة الثقافة ووزارة التربية، ص٣٦.

كانت ألوانها داكنة، وتم إستعمال الفحم على أرضية داكنة (زيتي) والتي تعطي طابعاً أن القصة لفئة عمرية أكبر من قصة «عمر وهاها» مع أن كلماتها سهلة وبسيطة، ولكن نرى في الصفحات(18 و20) ما تم في قصة «عمر وهاها»؛ إذ تغيرت الألوان في لحظة الحزن والهم لدى الطفل، وأصبحت داكنة؛ لتتوافق مع حالة الولد وخوفه، ورجوع الألوان إلى ما كانت عليه عند رجوع الأمور إلى سابق عهدها.

في قصة «مغني المطر» نجد الرسومات بالأبيض، الرمادي، والأسود مع استعمال الأحمر كإطار، لإضفاء بعض البهجة وكسر رتابة اللون، كما ويتماشى مع لون الغلاف. أظن أن الرسام وُفِقَ باستعمال هذه الألوان، لكنها قد لا تستهوي الأطفال في المراحل العمرية الصغيرة.

الزوايا

من المهم التركيز على الزوايا التي تؤخذ منها الصور، فهي من أهم العناصر التي تدخل الحيوية إلى الصورة بعد الألوان. « **يوازن الرسام بين الأبعاد التي يتخذها لرسم كل مشهد، أو بين زوايا النظر التي يختارها لرسم كل مشهد. فهل سيرسم المشهد من فوق (عين الطائر) أم من تحت (عين النملة) أم أفقياً، هل سيكون المشهد شاملاً أم مجزوءاً، حتى يصل إلى قصة تتناغم الأحداث فيها من حيث الكتل والأبعاد وزاوية النظر**».

بالنظر إلى اللوحة التي يقفز فيها عمر وهاها معا فقد نجحت الرسامة بتبيان العلو الذي كانا عليه، كذلك زاوية صعوده السلم، وعندما وقع على الأرض، وهكذا نكون قد رأينا القصة من عدة جوانب، من الأعلى، ومن الجنب، وزوايا أخرى، وهذا ما يزيد القصة جاذبية وحركة؛ فتكون مثيرة أكثر للطفل. بعكس القصتين (هيطلية ومغني المطر)؛ فقد كانت الزوايا المأخوذة أقل، صحيح أننا قد رأينا الشخصيات من عدة جوانب، ولكن جميعها من زاوية واحدة فلم نراهم من عين الطائر أو من عين النملة فجميع الصور كانت مباشرة للناظر.

الحركة:

تحتوي قصة «عمر وهاها» على الكثير من الحركة والأفعال، وهذا أمر واضح من خلال الرسومات؛ فقد

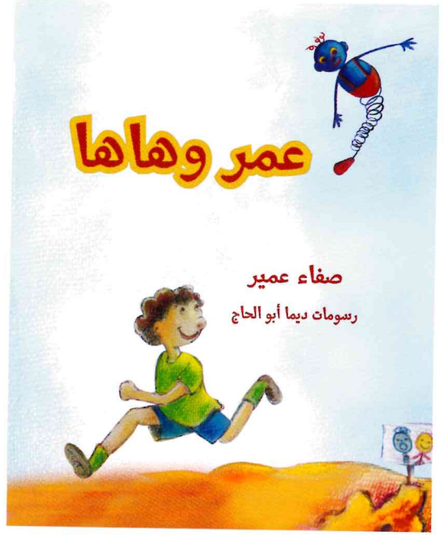

غلاف كتاب عمر و هاها

كانت كلها حركية، مثلا اللوحة التي يظهر فيها عمر وهاها بالقفز سويةً على البالون، بدت حركة قميص عمر وشعره معبرة جداً عن طيرانه بعلو كبير، وقد وفقت الرسامة في إظهار حركات أجسام الشخصيات.

القصة فيها الكثير من الحرية للطفل في فعل ما يريد، وتجربة كل شيء دون قيود، عدا العامل الخلقي؛ وهو أن عمر لا يستطيع القفز عالياً، أما هاها فلا يستطيع السير أو الركض كعمر مثلاً، لكن كانت هناك مشكلة في صورة عمر وهو يصعد السلم فيده طويلة جدا بالمقارنة مع جسمه. أما في قصة مغني المطر؛ فحركة النوتات الموسيقية توضح أن الجحش يغني، وكلما زادت هذه النوتات نعلم أن الغناء قد زاد وزادت البهجة أيضا؛ فهنا لم يعبر الرسام عن ذلك بمساعدة الألوان كالقصتين السابقتين، بل فقط من خلال الحركة وملامح الوجه.

ملامح الوجوه:

في قصة «عمر وهاها» ثمة نجاح في الدلالة على تعبيرات الوجوه للشخصيات؛ فهي تتبدل بين الحزن والفرح والفضول واليأس، إلا أنه لا يخلو من بعض المآخذ؛ فمثلاً عندما أوقع عمر الكعك على الأرض كانت ملامح وجهه تختلف عن الصور الباقية كلها، كذلك عندما قفز عمر مع هاها استطعنا أن نرى بوضوح خوف عمر من هذا الإرتفاع الشاهق. في «هيطلية» كان تمثيل الحوار بين الأم

وابنها في صفحة (١١) غير موفق؛ فكان من الأجمل أن تتلاقى عيونهما، ولكن يبدو لنا أن الأم في جهة والولد في جهة أخرى، فالناظر لا يعلم أن الأم تحدّث ولدها، أما في الصورة صفحة (١٦) و(١٧) فقد نجحت في تصوير منظر الأطفال وهم خائفون؛ فهي معبرة جداً، تظهر مدى الخوف الذي كانوا عليه عندما قال (صيحة إهتزت لها الجدران). كما تثير الاعجاب الصورة في صفحة (٢٣)؛ فالعلاقة رائعة بين الأم وولدها، هناك دفء ذو مستوىً عالٍ من التواصل بينهما، والنظرة على وجه الأم معبرة جداً، في آخر صفحة من القصة كانت العلاقة بين الأب وابنه جميلة ولكن رسم الأم يظهر أنها قد تغيرت ملامحها عمّا كانت عليه.

أما في مغني المطر؛ فملامح الجحش، رغم بساطتها، إلا أنها تعبر عن الحزن الشديد الذي كان يشعر به، ثم تتغير هذه الملامح ليظهر الفرح الشديد والإنسجام بينه وبين الناس والحيوانات، هنا لم يتم استخدام الكثير من الألوان، وكان الإعتماد الأكبر على حركة الشخصيات، وتعبيرات وجوههم؛ فعندما حزن الجحش كانت ترتسم على وجهه ملامح الحزن، ولكن في الفرح تغيرت ملامحه، إضافة إلى المحيط من رقص الأطفال وفرحهم.

نلاحظ بوضوح أن ملامح الوجوه في قصة «عمر وهاها» مالت إلى الرسم الكرتوني كمغني المطر مثلاً، بعكس قصة «هيطلية» والتي نجد رسوماتها أقرب إلى الحقيقة وإلى الأشخاص الطبيعيين، ربما يرجع ذلك إلى الزمن الذي كتبت فيه القصة، وأجوائها بشكل عام، وأحداثها الحقيقية، بعكس القصتين السابقتين حيث كان الخيال هو المنطلق.

التوافق مع النص:

الرسومات في «عمر وهاها» كانت منسجمة مع جوهر النص، وهذا أمر جيد، كما نراه، خاصة وأنها تتوجه للأطفال الصغار ما يقرب لهم النصن وبالتالي تمكنهم من فهم القصة بالنظر إلى الرسومات فقط دون القراءة. عكس قصة «هيطلية» و«مغني المطر» التي لم تعبر عن النص بحرفية تامة، ولكنها واكبت النص إلى حد ما.

الخلاصة

تختلف قصص الأطفال من حيث رسوماتها؛ فما نجده من تفاصيل في قصة قد لا نجده في قصة أخرى، أحياناً تكون رسومات قصة غزيرة بالتفاصيل، في حين تخلو أخرى تماما منها؛ فهناك قصص يحتاج القاريء لبعض الوقت لرؤية كل ما في الصورة، بينما نجد أخرى مختصرة وبسيطة جداً، وهذا لا يرجح الكفة لنجاح الرسمة المفصلة، فقد تكون صورة بسيطة، لكنها نابضة بالحياة، وعنصر الحركة فيها يتفوق على غيره، وفي حين نرى أخرى تفاصيلها كثيرة، والملامح فيها رائعة، وألوانها جميلة، لكنها غير نابضة بالحياة. لذلك يجب أن يحاول الرسام الموازنة بين العناصر جميعها، كالألوان الجميلة والمناسبة للفئة العمرية التي تتوجه القصة إليها، الحركة المناسبة والنابضة بالحياة، الزوايا المتعددة تبعد الملل وتكون فيها ملامح الوجوه معبرة إذا كان هناك تركيز عليها، وأن يدرك الرسام الحاجة دوماً للتعبير عن المشاعر؛ فحركة الجسد والألوان قد تغني عنها أحياناً.

وفي المحصلة ومن خلال المقارنة بين القصص الثلاثة نجد أن قصة «عمر وهاها» نجحت في الجمع والموازنة بين جميع العناصر من الألوان، الحركة، الزوايا، ملامح الوجوه التي واكبت الأحداث باستمرار، فمع أنها لم تكن تحتوي على الكثير من التفاصيل إلا أنها كانت نابضة بالحياة ومعبرة جداً.

أما قصة «هيطلية» و«مغني المطر» فقد ارتأيتا تثبيت ملامح الشخصية انطلاقاً من زوايا ثابتة بما يحيل إلى الجو النفسي المتلائم مع القصص التراثية والشعبية، وبالتالي فقد افتقرتا إلى التنوع بقصدية متوائمة مع النص.

وأخيراً لا شك أن كاتب القصة يكون محظوظاً إذا كان رسام قصته بارعا في التعبير عنها بطريقة مناسبة من خلال رسوماته؛ لأن الرسومات تساهم في تقديم القصة بشكل متكامل، وفي بعض الأحيان يكون الكاتب أوفر حظا إذا استطاع رسم قصته بنفسه، عندها يستطيع أن يترجم ما يكتبه بشكل أفضل من غيره.

ملف رسومات الأطفال

مقابلة مع رسامة قصص الأطفال- لبنى طه

الرسامة لبنى طه

أسئلة كثير تُفرزها موضوعة الرسم في أدب الأطفال، ففي حين يرى البعض أنها عمل فني موازي للنص، يرى البعض الآخر أنها رسالة مكملة ومعززة لما يقوله النص، وفي اتجاه آخر يبقى السؤال «أين الفنانون والفنانات في فلسطين من أدب الأطفال؟»؛ لأجل الوقوف على بعض هذه القضايا كان الحديث مع الفنانة لبنى طه من رام الله، والتي تكمل دراستها ما بعد البكالوريوس في الفكر الأوروبي في ألمانيا، وهي من الفنانين الذين أسهموا في رسومات أدب الأطفال في فلسطين.

كيف تختار لبنى طه رسوماتها؟

في العديد من الأحيان تكون اللوحات مثل الرؤية أو المنام، كل ما أفعله هو أن أترجم هذه الرؤية؛ لذلك أحيانا لا أكون مسؤولة بشكل مباشر عن اختيار رسوماتي بقدر ما أكون مسؤولة أكثر عن كيفية ترجمة هذه الرؤية.

وهل تفرض القصة مثلاً توجهك في الرسم؟

تفرض وتوجه هما فعلان يلمحان إلى صيغة أمرية، أو إلى علاقة تنافسية غير محببة بيني وبين القصة أو النص، ولكن في الحقيقة النص، ولاسيما إن كان مليئا بالخيال، فإنه يشكل دعماً أكثر مما هو فرض لرسوماتي.

يقول بروست: « إن الأسلوب عند الكاتب كاللون عند الرسام مسألة رؤية لا مسألة تقنية « هل ترين ذلك صحيحاً، وكيف توفقين بين الرؤية والتقنية؟».

كنت دائما أكره المسائل التقنية المتعلقة بالرسم؛ كالضوء، واللون و المساحة وما إلى ذلك ، وأفضل دائما كما يقول بروست «الرؤية». باعتقادي إن الكل مؤهل لأن يمتلك التقنية ولكن هل بإمكان الجميع «امتلاك» الرؤية؟ وإذا امتلك الفنان الرؤية هل يستطيع ترجمتها من دون التقنية؟

الايماءات، والتفاصيل، وتركيب الوجوه، والفضاء البنائي، سواء اللوني أو التركيبي هي كلها رسائل رمزية، هل يستطيع الطفل التقاطها جميعاً؟

أعتقد أننا لا يجب أن نقلل أبداً من قدرة الأطفال على التقاط العديد من الايماءات والتفاصيل؛ فهم باعتقادي قادرون على ترجمة بعض الايماءات والتفاصيل بصورة حتى لا يدركها الرسام نفسه. السؤال المهم هو هل نتيح المجال أمامهم للتعبير عن الصور الفنية؟ وكيف نعزز ونطور من قدرة أطفالنا على ترجمة الصورة الفنية، كيف نتيح الطريق أمامهم لتشكيل الفكر النقدي تجاه الفن أيضاً؟

لك العديد من الانتاجات الفنية بين الرسم لليافعين وللصغار، ما الفرق بينهما بالنسبة لك ، أي ما الفرق بين الرسم لليافعين والرسم للصغار ؟ ولمن أنت أقرب، ولماذا ؟

لا يوجد هناك خط فاصل وقاطع يحدد الفرق بين الرسم لكلا الفئتين، ولكن بالرغم من أن الرسم

للأطفال يشكل تحدياً أكبر بالنسبة لي، إلا أنني أفضله؛ لأنه عالم أكون فيه قادرة على إدراج التفاصيل المهملة، ولكن الممتعة في حياة الأطفال.

كي تطورين تجربتك، وهل تتبعين مدرسة معينة؟

تطوير التجربة مسألة في غاية الأهمية، خاصة وأنني في بداية مشواري في مجال الرسم للأطفال، وهو يأتي بشكل مباشر من خلال النقد وقدرتك على تقييم عملك، كذلك من خلال مشاركة أعمالك مع الآخرين، وأيضا من خلال اطّلاعك على العديد من الأعمال الفنية في هذا المجال لرسامين آخرين، هي تأتي أيضا من خلال السفر وتفاعلك مع عناصر جديدة. لا أتبع مدرسة معينة، ولكن معظم رسوماتي تتضمن زخارف وتفاصيل من الفن الاسلامي، والذي شجعني على اتباع هذا الخط لوحات الفنان المصري الراحل محي الدين اللباد، كذلك أسلوب الفنان التونسي رؤوف كراي .

كيف تنظرين للإنتاج الفني بخصوص رسومات أدب الاطفال، سواء في العالم العربي أو فلسطين؟ وهل ترين أن هناك خصوصية ثقافية في هذا المجال، أم أن هناك تأثر بالغرب أو اتباع أنماطه وأساليبه؟

أعتقد أن هذا المجال بدأ يأخذ أهميته حديثاً، سواء في فلسطين أو في العالم العربي بشكل عام، ولكنه بحاجة إلى المزيد من الرعاية. للأسف هناك العديد من القصص التي تفتقر إلى « الرؤية والتقنية» ، ومع ذلك يتم نشرها، وتعرض على الأطفال، وبرأيي هذا يدل على استهتار بعقول الأطفال، والتقليل من أهميتها، وعدم مراعاة ما يحتاجه الطفل العربي أو الفلسطيني. التأثر بأعمال أو أساليب أخرى عالمياً ليس بالأمر السلبي، بالعكس على الفنان الإنفتاح على الفن، ولكن المشكلة تكمن حين يتم طباعة أو تقليد أسلوب غربي معين، بشكل لا يرتبط بالطفل العربي أو الفلسطيني بتاتاً، وبرأيي أن العالم العربي بتاريخه الفني الاسلامي يحمل العديد من التفاصيل الفنية الجميلة، والممكن استخدامها بطريقة ابتكارية في رسومات أدب الأطفال.

أنت صاحبة الرسومات المدرجة في « قصة قبل النوم» للكاتبة مايا أبو الحيات، هل لك أن تحدثينا عن هذه التجربة؟ وكيف تقيمينها؟

«قصة قبل النوم» من تأليف الكاتبة مايا أبو الحيات وقامت بنشرها مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي. كانت تجربة جديدة بالنسبة لي؛ لأنها تتناول موضوع « منال»، وهي طفلة لا ترى. الجديد في النص هو أنه يتناول موضوع منال من دون أي إشارة مباشرة بأنها لا ترى؛ لذلك الكاتبة تتيح المجال للطفل أن يترجم النص وحده، وأن يحكم على شخصية منال دون أن يكون خاضعاً لفكرة أنها لا ترى. كنت حريصةً على أن لا تصور منال بشكل تقليدي أو حتى العناصر حولها. هي فعلا تجربة مميزة مع منال، وأخوتها وعالمهم الملئ بالخيال، ولكن التقييم الحقيقي يأتي من الأطفال أنفسهم .

كيف تختارين الوجوه، والألوان والاطار العام؟

عملية اختيار الوجوه تأتي أحيانا من أناس حقيقيين موجودين في

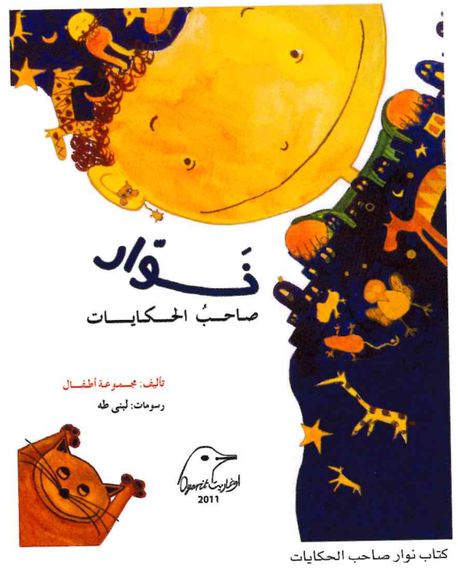

كتاب نوار صاحب الحكايات

محيطنا؛ فتفاعل الشخصية، حركتها، وطريقة كلامها في النص هي أيضا شخصية حقيقية موجودة في مكان ما. أما اختيار الألوان فهو يولد من خلال مدى برودة أو دفء الموقف أو الشخصية.

في القصة - وأعني قصة قبل النوم- رأيت أن اللون البرتقالي له وجود كبير في أكثر من موقع، لماذا هذا الاختيار، وهل هناك إحالة لون أو قصدية في ذلك؟

اللون البرتقالي والأصفر يرتبطان بشكل مباشر لدي بالدفء، والبساطة، والحيوية، والصيف، وبالتالي فبرأيي هذان اللونان يشكلان معنى الطفولة .

ما هي العقبات التي تواجه الرسام المختص برسومات أدب الأطفال ؟ وما هي معيقات تطوره وفق رأيك ؟

التحدي الأكبر هو قدرتك على التعبير عما يدور في عالم الطفل بصورة لا تكون فيها أنت المسيطر، أو المحتل، الذي يفرض الصورة التي يريدها وبالشكل الذي يريده دون مراعاة عوالم الطفل نفسه. حينما يكون الفنان منغلقاً على نفسه، وعلى فنه، وغير مستعد لتقبل أفكار أخرى، فإن ذلك له مردود عكسي على عمله بصور تؤدي إلى تكرار نفسه في جميع الأعمال الفنية.

هل يحتاج الرسم للأطفال إلى تخصص ؟ بمعنى أن الرسام يجب أن يختص إما أن يرسم للكبار أو للصغار ؟ أو أن يختار شريحة واحدة ؟

إن ذلك يعتمد على خيارات الفنان نفسه، فأن تكون ماهراً في الرسم للأطفل لا يعني بالضرورة تخليك عن الرسم للكبار؛ فمحيي الدين اللباد على سبيل المثال، عمل كرسام كاريكاتور وعمل أيضا في مجال أدب الأطفال. ولكن في الوقت نفسه، كلما أدركت ما الذي تبدع فيه أكثر، وتخصصت، كلما كنت قادراً على الإبداع أكثر، وكلما كنت أقل تشتتاً.

ما هي النواقص التي ترينها بحاجة لتطوير بخصوص رسومات الأطفال في فلسطين؟

أعتقد أننا بحاجة إلى نصوص ورسومات تحفز الخيال ومليئة بالعوالم الأخرى التي تشجع الأطفال على النقد، والتحليل، والتفكير خارج إطار النص أو اللوحة، عوضاً عن التركيز على « الدرس الاخلاقي» في كل قصة. باعتقادي أن القصص التي يتعرض لها الأطفال في كتبهم المدرسية والتي تركز دائما على إيجاد « العبرة الأخلاقية» في كل قصة كافية للحد من خيالهم وإبداعهم؛ فلماذا إذاً نريد أن نحد من عقولهم بالقصص الخارجية؟ أما بالنسبة للفنانين؛ فنحن بحاجة إلى المزيد من الورشات المتعلقة برسومات أدب الأطفال، وبحاجة إلى تخصص جامعي في هذا المجال بوجود فنانين وكوادر مؤهلة ومختصة .

كيف تقييمن عملية التعلم المواكبة لبداياتك في الرسم القصصي؟

عملية التعلم جاءت مواكبة لممارستي هذا المجال، فكتاب أغنية البئر لأنس أبو رحمة لم يشمل فقط أعمالي الأولى بل هو مساحة تعلمي الحقيقية لهذا المجال. ففي البداية انتجت العديد من السكتشات ولكنها لم تكن تعبر عن القصائد والأفكار التي يطرحها أنس أبو رحمة. الا انه في النهاية بعد قراءات متعددة للنصوص وبعد أن اصبحت قادرة على فهم الفئة العمرية التي تستهدفها النصوص خرجت لوحات قصائد هذا البئر .

كيف تصفين مستقبلك في موضوع الرسم القصصي وما هي المهارات والتجارب التي تطمحين لتوفرها لديك مستقبلا في هذا المجال؟

ما أعرفه حتى الان ان الرسم لقصص الأطفال هو فعلاً عمل أستمتع به لذلك أود ان اكمل دراساتي العليا في هذا المجال، كما اود ان اشارك في ورشات فنية كالتي نظمتها مؤسسة تامر حين استضافت الفنان التونسي رؤؤف كراي وقام باعطائنا ورشة تصميم كتب للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة. كانت هذه المرة الأولى التي اتعرف بها بعمق على هذه النوعية من الكتب ، كما انه قمت بالتعرف على انماط اخرى بالرسم من خلال احتكاكي مع الفنانين الذين كانوا متوادين في الورشة .

لبنى و الاطفال في ورشة رسم في الاردن

مقالات مترجمة

أطفال فلسطين يروون قصصهم[٣]

بقلم: جيهان الحلو

ترجمة: سمر القطب

القصص الجيدة تعزز وتغني حياة وثقافات الشعوب، وبحسب إدوارد سعيد فإن أهمية القصص تبدو جلية لدى الشعوب المستعمَرة والمراقبة لما يحدث لها: "... تحتل القصص قلب، وجوهر ما يقوله الروائيون والمكتشفون عن البقاع الغريبة في العالم؛ كما تصبح القصص وسيلة لتعزيز الهوية لدى الشعوب المستعمرة، وأداة لإثبات وتأكيد تاريخهم ووجودهم"[٤]. التاريخ ليس مجرد أحداث وتواريخ، كما أنه ليس فقط ما يُرْدُّ على لسان الأقوياء والمنتصرين؛ بل يشمل أيضاً قصص الناس العاديين، وقيمهم الاجتماعية، وتفاصيل حياتهم اليومية، وهمومهم وأحلامهم.

حول أهمية مثل هذه القصص تقول الكاتبة (إلسا مارستون):«أعتقد أن للقصص الأدبية أثراً مستمرا على القارىء؛ لأن القصة الجيدة تقدم شخصيات يمكن للقارىء أو المستمع التماهي معها؛ فهي تشد الانتباه وتحرك العواطف وتعلق بالقلب والعقل»[٥]. وترى (مارستون) قوة كبيرة في القصص التي تعكس انحياز الكاتب للعدالة وتضيف: «... يمكن للطفل الأمريكي الآن أن يتعرف على جزئية من حياة أبناء جيله من الفلسطينيين من خلال نافذة تتحدى جدران الفصل والعزل»[٦].

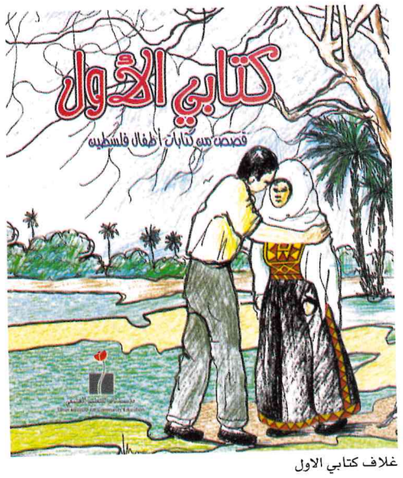

غلاف كتابي الاول

كتاب «تذوق طعم السماء» للكاتبة الفلسطينية الأمريكية إبتسام بركات استقبل بحفاوة غامرة، حتى من قبل غربيين لم تتح لهم، من قبل، فرصة لسماع قصة الفلسطينيين وحكاية اقتلاعهم، تتجلى قوة الكتاب بأنه يتحلى بأسلوبه الأدبي الجذاب، وبالروح الطفولية الطليقة التي لا تعترف بالرقابة الذاتية، هذا إلى جانب كون الكتاب يعرض قصة معاناة إنسانية، وكفاح من أجل البقاء وتحقيق العدالة. وعندما سئلت إبتسام عما دفعها لكتابة قصتها قالت: «ترعرعت في منطقة تتألم من أجل حرية لم تتمكن من امتلاكها بعد، لذلك كتبت ما كتبت كتمرين في السعي إلى الحرية وكتعبير عنها...»[٧]

٣. هذه المقالة ترجمة لمقالة نشرت في مجلة "بوك بيرد/إيبي"، العدد ٤٨، الجزء١، يناير ٢٠١٠

٤. - سعيد، ادوارد (١٩٩٣) "الثقافة والامبريالية"، لندن: شاتو و ويندوس

٥. مارستون،إلسا (٢٠٠٤) " أكثر من مجرد حكايات: صورة الفلسطينيين في أدب الأطفال الأمريكي" الانتفاضة الالكترونية

٦. مصدر سبق ذكره

٧. بينيت،مولي (٢٠٠٧، ٤ حزيران) مقابلة مع ابتسام بركات. الشعب

المضامين والأسئلة في قصص أطفال فلسطين:

هل بالإمكان إدراج القصص التي يكتبها الصغار ضمن أدب الأطفال؟ يبرز هذا التساؤل دوماً في خضم حديثنا عن أدب الأطفال، وبالعودة إلى الكاتب الكبير (ليو تولتستوي)، نراه في مقال بعنوان «من ينبغي أن يتعلم الكتابة من الآخر؟»[٨]، يتحدث بإسهاب عن قوة تأثير القصص التي يكتبها الصغار، كما ويؤكد (مايكل آرمسترونغ) بدوره على أهمية مقالة (تولتستوي) كونها تلقي الضوء على قدرات الأطفال الأدبية، حيث يقول:«يسعى تولتستوي إلى إحداث ثورة في قراءتنا لأفكار الأطفال...» ومقاله يطرق موضوعاً واسعاً، يتفحص من خلاله الوعي الأدبي للطفولة، وأثرها في التعلم، وأيضاً وبصورة أوسع، تأثيرها على الأفكار المرتبطة بالحضارة والموروث الثقافي، ويرى أن فهمنا لأفكار الأطفال يشكل تحدياً لما نقوم بتمريره من معرفة للأطفال، باعتباره حكماً تقليدية، وتوقاً لتعريفهم بالأدب ودمجهم في عالم الثقافة.»[٩]

لا يختلف أطفال فلسطين كثيراً عن غيرهم، من حيث أن لديهم الكثير ليكتبوا عنه، فهم يحاولون البوح بمعاناتهم، وبآمالهم، دونما تدخل أو إيحاء من الوالدين والمعلمين، وهذا يشكل خرقاً للأعراف القديمة التي لا تمنح مساحة للأطفال للتعبير بحرية، ويشعر أطفال فلسطين بأن قصصهم تمنحهم صوتاً قادراً على الدفاع عن حقوقهم المغتصبة، إلى جانب كونها – أي قصصهم التي يكتبونها- تساعد في علاج آلام المقهورين من الصغار، وأولئك الذين اختبروا قسوة الصدمات النفسية؛ إذ أن عملية كتابتهم لقصصهم، هي واحدة من أفضل الأدوات التي تساعدهم على التحرر من مشاعر الغضب، والإحباط، والتعبير عن آمالهم وأحلامهم.

إن عدد الأطفال الفلسطينيين، والذين يكتبون قصصهم، آخذ بالازدياد يوماً بعد يوم، تحت رعاية البرامج والمؤسسات الفلسطينية المختلفة؛ فخلال الحرب الأخيرة على قطاع غزة، ومباشرة بعد انتهاء الحرب، تلقى المجلس العالمي لكتب الأطفال (إيبي) / فرع فلسطين، قصصاً مؤثرةً جداً كتبها أطفال غزة في إطار برامج نظمتها مكتبات الأطفال هناك.

امتلاك وسائل التعبير عن النفس كانت دائماً محل اهتمام الفلسطينيين الذين فقدوا حقوقهم الأساسية نتيجة للاقتلاع وسنوات الاحتلال الطويلة، ولذلك أيضاً اهتم الفلسطينيون بالتعليم، وثمنوه، وتعاملوا معه على أنه داعم لهم في رحلة نضالهم نحو التحرير، ولأن العملية التعليمية في فلسطين تعرضت لتقطعات عديدة عبر السنين؛ فقد نشط التعليم غير الرسمي، واعتبره الفلسطينيون وسيلة هامة في بناء المعرفة والوعي. وعليه تأتي مبادرة مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي والمعروفة باسم «كتابي الأول» لتكون السباقة والرائدة في مجال تشجيع الكتابة الابداعية والتعبير عن الذات؛ إذ فتحت الباب للصغار لكتابة ورسم قصصهم بأنفسهم، وقد نُشرت أولى هذه الكتب في عام (١٩٩٧). كما وأن مؤسسة تامر غير الحكومية وغير الربحية قد تأسست عام(١٩٨٩)، وتلقت عام(٢٠٠٩) جائزة (أسترد ليندغرين) لتشجيع الكتب والقراءة.

بشكل عام، تتناول كتابات أطفال فلسطين العديد من المواضيع بما فيها الصداقة، والتعامل مع الإعاقات، والكفاح من أجل المساواة داخل العائلة، وغيرها. ومع ذلك فإن أفضل القصص التي يكتبونها هي تلك التي تتعلق بمعاناتهم اليومية، وآمالهم وأحلامهم، قصصهم في الغالب لها طابع شخصي وخاص، وأحياناً تكون خيالية، ومستوحاة من حقائق الحياة التي يعيشونها، والثقافة التي تحيط بهم، أو تأتي خيالية، محلقة، ومتأثرة بالحكايات الشعبية المحلية، والعالمية. القصص التي تعكس تأثراً بالواقع المعيش، تتضمن قوة خاصة تظهر في الكلمات، والرسومات التي إما يرسمها الطفل نفسه الذي يروي الحكاية أو يرسمها طفل آخر.

تُظهر هذه القصص بأن الأطفال والكبار على السواء يمكنهم التعبير عن المشاعر والأحاسيس نفسها في كتاباتهم؛ ففي يوميات بطلة «تذوق طعم السماء» تقول ابتسام بركات :«عندما عشت في رام الله كان الشعور السائد بأن كل ما أحبه، أو أمتلكه، يمكن أن يؤخذ مني في لحظة، لكني ومن خلال كتابتي لهذا الكتاب، استطعت أخيراً أن أمتلك جزءاً من طفولتي التي بدت لي في الوقت نفسه وكأنها امتلاك لقطعة من رام الله على هيئة قصة مكتوبة.»[١٠] ملاحظة شبيهة جداً أتت على لسان الطفلة الغزيّة ليس عودة في توصيفها للحصار والحرب المروعة على قطاع غزة حيث تقول: « لقد قتلوا كل شيء نحبه».

فيما يلي عرض لبعض قصص الأطفال من مجموعة «كتابي الأول» الذي ترعاه مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي:

٨. آرمسترونغ، مايكل (٢٠٠٦) أطفال يكتبون قصصا .بيركشاير، انجلترا، أوبن يونيفرستي بريس، صفحة ٨

٩. مصدر سبق ذكره

١٠. مقابلة مع ابتسام، مصدر سبق ذكره

نماذج من قصص الأطفال في « كتابي الأول »:

« قصتي مع شجرة الزيتون»

كتبتها مها غراب، عشر سنوات، مؤسسة تامر، (٢٠٠٣)

تحمل شجرة الزيتون رمزية عالية في عقول وقلوب الفلسطينيين، وقد انعكس ذلك في العديد من أعمال الكتاب والفنانين الذين خاضوا في العلاقة الخاصة بين الفلسطينيين وأشجار الزيتون، ومها ذات السنوات العشرة كتبت بدورها قصة شعرية مؤثرة حول معاناتها لفقدان صديقتها الغالية شجرة الزيتون. تعيدنا قصة مها بالذاكرة إلى ما قاله الفنان الكبير (بول كيزين):«شجرة الزيتون كالصديق القديم الذي يعرف كل شيء عن حياتي ويمدني بحكمته وقوته ودعمه، ويجعلني أرغب في أن أدفن تحتها».

تقول مها: « لطالما شعرت بظلالها تلعب معي وتريحني من تعب اليوم الدراسي، أتخيلها تروي لي قصة أجدادي، كما أنني أتحدث معها كصديقة. في أحد الأيام اجتاح الجيش الإسرائيلي مخيمنا بالدبابات وكان علينا البقاء في البيت لبضعة أيام، عدنا بعدها إلى المدرسة، وفي طريق العودة إلى البيت رغبت في الاستلقاء تحت الشجرة التي كانت دائما جزءاً من عالمي الملائكي الصغير والمليء بالحب، العالم الذي لا يعرف الألم

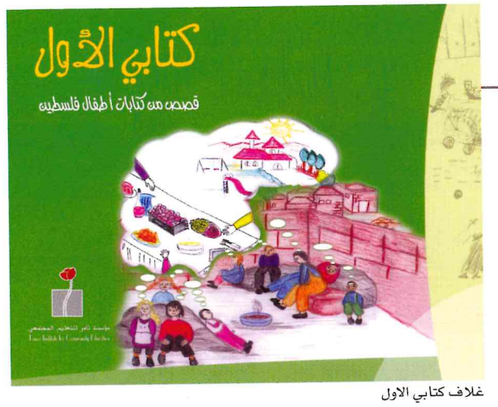

غلاف كتابي الاول

والحزن. مشيت باتجاهها بينما اعترتني فجأة مشاعر حزن غير عادية، وعندما وصلت نحوها أدركت سبب تلك المشاعر المفاجئة، كانت الشجرة قد اقتلعت من جذورها، وهوت نحو الأرض، وبدت أغصانها حزينة ذابلة؛ لقد اقتلعوها دون أن يتنبهوا حتى لصراخها وأوجاعها... لقد اقتلعوا الأمل الذي ترعرع معي، والأحلام التي بنيتها تحت ظلالها. لم يعاملوها برأفة، ولم يشفع لها أنها تمثل السلام، وأنها زرعت في أرض السلام...»

« مشيئة الله»

كتبتها جوانا شمّة، تسع سنوات، مؤسسة تامر، (١٩٩٧)

تروي جوانا النصراوية قصتها بينما تقوم، في الوقت نفسه، بإعلان تحديها للطريقة المتخلفة التي يحاكم فيها مجتمعها أفراده من ذوي الاحتياجات الخاصة. وُلدت جوانا وعينها اليسرى شبه مغلقة رغم أنها كانت قادرة على الرؤية بها، تشكو جوانا من استهزاء وسخرية الأطفال، ونعتهم لها بصفات مثل « العمياء وذات العين الواحدة والحولاء». نصحها الأطباء بالقيام ببعض التمارين لتنشيط جفن عينها الكسول، أكدوا لها بأن عينها ستنمو لتصبح طبيعية مع مرور الوقت. تنهي جوانا قصتها بالقول: «سأتدرب يومياً لأستطيع تحقيق أحلامي... سأصبح طبيبة عيون يوماً ما، وسأساعد الكفيفين، وكل ذوي الحاجات الخاصة، وسأقول لهم بصدق، ومن كل قلبي، بأن عليهم أن لا يفقدوا الأمل أبداً.

كتبت جوانا لي في العام الماضي تعقيباً على قصتها وقالت: « كتابتي لقصتي منحني قوة ودعماً كبيرين، دُهل والداي لدى قراءتها؛ لأنهما لم يكونا مدركين لحجم معاناتي وألمي قبل ذلك. العديد من الآباء والناس الذين قرؤوا قصتي قالوا بأنها ساعدتهم في الانتباه لأهمية تقبل الآخرين، وخاصة ذوي الحاجات الخاصة، وتنهي جوانا رسالتها بالقول :»قصتي لاقت حفاوة؛ لأنها حقيقية وصادقة.»

الأهم والأكثر بهجة أن نعلم بأن عين جوانا كبرت وفتّحت، وهي الآن تقيم في ألمانيا حيث تدرس طب العيون.

« طفولة ضائعة»

كتبها مشير الحاج، (١٦) سنة، ورسمتها حنان القاضي، (١٤) سنة ، مؤسسة تامر، (٢٠٠٣)

كتب مشير قصته بأسلوب خيالي قوي؛ ليوجه من خلاله النقد لبعض القيم العشائرية السائدة، وتحديداً تلك التي تخاطب الطفل وتحاكمه، كما تعامل وتحاكم البالغين. تصف القصة واقع طفل في العاشرة اضطر للتواجد في كافة لقاءات كبار العشيرة؛ لأن والده هو رئيس تلك العشيرة البدوية. اعتاد طفلنا هذا على الجلوس إلى جانب والده، والمشاركة في الأحاديث عن الكبرياء والخلود. شيخ القبيلة يرشد الصبي ويعلمه ليتصرف كرجل، وهذا ما بات الصبي يحلم به، أن يكون رجلاً. بعد انفضاض مجلس الكبار يريح الصبي رأسه في حجر جدته، ويستمع لحكاياتها التي ترويها كل ليلة. تبدو إحدى الليالي مختلفة، حيث الصبي يرى حلماً، يجري خلاله حواراً مع غيمة عابرة :»مرحبا أيها الصبي» تقول الغيمة، «لكني لست صبياً ،أنا رجلٌ»، يقول الصبي. لكن الغيمة تواصل حديثها الذي يتمحور حول الطفولة.

تنتهي القصة بالقول: «علينا أن نعيش طفولتنا دون حواجز ومعيقات تحرمنا من هذا الحق؛ حقنا الذي سنسعد بامتلاكه، وحينها سنحفر بحروف كبيرة كلمة «طفولة» على سطح تلك الغيمة.

« الكوب الضاحك »

كتبها محمود رياض، (٩) سنوات، مؤسسة تامر (٢٠٠٢)

العديد من قصص أطفال فلسطين تتعرض لألم الفقدان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؛ ففي عامه الثالث تلقى محمود كوباً ضاحكاً كهدية له، وأعجب محمود بالكوب وأحبه كثيراً. استعار صديق محمود كوبه الضاحك يوما، لكن وفي اليوم التالي جاءه صديقه باكياً ومعتذراً ليقول له بأن أخاه الصغير أوقع الكوب وكسره. «حزنت كثيراً ولم أشتر كوباً آخر بعد هذه الحادثة، لا أريد التعلق بأي كوب؛ لأني لا أستطيع تحمل الحزن لفقدانه إذا ما حصل ذلك.»

« الصوت الضائع »

كتبتها مها عقل، (١٣) سنة، مؤسسة تامر، (٢٠٠٣)

فقدان الأحبّة نتيجة لقهر الاحتلال، يسبب ألماً وحزناً شديدين لأفراد العائلة والأصدقاء. هذا ما تعكسه قصة هالة التي توفي أخوها، وتركها موته غارقة في مشاعر فقدان الأخ والصديق، تذهب إلى غرفته وتشم رائحة ملابسه، وتحتضن الهدية الجميلة التي أهداها إياها في عيد ميلادها الأخير. باسل ذهب، تردد بصوت عالٍ، تصرخ وتصرخ، علّه يسمع نداءها، لكن شيئاً ما لا يحدث، تبكي في سريرها وتصرخ عالياً في كل مكان ولا شيء يتغير، ثم تتوقف عن الصراخ، فصوتها اختفى هو الآخر. صوت هالة اختفى، لا جدوى الآن من الاستعانة بصوت لا يمكن سماعه، تجلس هالة صامتة وحزينة قرب سرير باسل دون صوت، ودون أخ، ودون أمل.

« الطفولة الضائعة »

كتبها مصطفى باكير، (١٤) سنة، مؤسسة تامر، (٢٠٠٢)

تشير القصة إلى التوقعات التي حملتها شريحة الفلسطينيين الذين سمح لهم بالعودة إلى البلاد في إطار اتفاقية أوسلو، كثيرون منهم اعتقدوا بأن هذه الخطوة هي نهاية للاحتلال، بينما جاء الواقع على الأرض مختلفاً.

يعكس مصطفى الصراع الداخلي الذي يدور في خلده، ويقول بأنه كان سعيداً لدى عودته إلى غزة، معتقداً بأنه سيعيش هناك طفولة طبيعية كتلك التي عاشها في منفى العائلة في تونس، لكنه لدى وصوله فوجيء بأن أفراد جيله لا يلعبون سوى لعبة الحرب، وبأنهم لا يملكون أيّاً من وسائل وأماكن

اللعب الأخرى. بدا مصطفى مصدوماً وغير قادر على الإندماج مع بقية الأطفال في البداية، لكنه بعد مرور بعض الوقت بدأ يتغير وكتب قائلاً: « في لحظة صدق مع نفسي شعرت لوهلة وكأنني غريب في وطني ورغبت في الابتعاد عن بقية الأطفال، بل والعودة إلى تونس. شعرت بالخزي من هذه الأفكار، وفجأة انتابتني رغبة عارمة في تحطيم كافة لعبي التي تزين أرجاء غرفتي! انطلقت إلى الشارع وانضممت إلى بقية الفلسطينيين الأطفال والكبار في نضالهم ضد الاحتلال.»

«بين اليأس والأمل- الذهاب الى القمر»

كتبتها دعاء اللوا،(١٣) سنة، ورسمتها دعاء محي الدين،(١٣) سنة، مؤسسة تامر، (٢٠٠٥)

بعض قصص الأطفال حملت سخرية ومزاحاً، حيث لجأ بعضها إلى اللعب بالكلمات لإيصال فكرته، «طفلان من غزة يسمعان عن تنظيم رحلات سياحية إلى القمر ويقرران الاشتراك في إحداها؛ ليتمكنا من العيش والإقامة هناك بسعادة وهناء، حيث كان الصبيان يعيشان بشقاء في بلدهم المحتل، إذ يواجهان خطر الموت، والحواجز العسكرية، والحصار. خلال أيام قليلة انتهى الصبيان من كافة الاستعدادات اللازمة لرحيلهم، وفي صباح أحد الأيام أخذا ما يلزمهما من طعام ولباس وتسللا بعيداً عن منزليهما. استقل الصبيان سيارة أجرة الى معبر بيت حانون، وكانت الصدمة حين اكتشفا بأنهما لن يتمكنا من السفر إلى القمر بسبب إغلاق المعبر!»

« بائعة البيض »

كتبتها سعاد فؤاد البوبو، (١٢) سنة، مؤسسة تامر، (٢٠٠٥)

قصة ساخرة اعتمدت أسلوب اللعب على الكلمات للحديث عن كفاح النسوة، ودورهن في إعالة أسرهن. قبل خمس سنوات وجدت فاطمة نفسها مضطرة إلى إعالة أسرتها بعد اعتقال زوجها لأسباب سياسية، تركت فاطمة بيتها في مخيم اللاجئين بعد رفع حظر التجوال الذي استمر لأيام، جمعت البيض من تحت الدجاجات التي تربيها وانطلقت إلى السوق في محاولة لبيعها وكسب النقود التي قد تمكنها من تلبية بعض احتياجات أبنائها، وربما شراء ثياب العيد لأبنائها الخمسة، أجرت فاطمة عملية حسابية لترى ما يمكنها شراؤه بالمال القليل الذي ستجنيه من بيعها للبيض.

« وبينما كانت غارقة في أفكارها، اخترق أذنها صوت ثقيل يتحدث العربية بركاكة، رفعت وجهها باتجاه الصوت لتجد جندياً إسرائيلياً فوق رأسها، قالت لنفسها: «سيشتري كل ما لديّ من بيض، وسأبيعه البيضة الواحدة بست ليرات بدلا من خمسة»، لكن الجندي بادرها قائلاً أربع ليرات وأشتري كل ما لديك، أجابته: «لكن هذا البيض بلدي وعضوي وهو فتح[11] إنتاج دجاجاتي – أي أوله « وقبل أن تكمل جملتها بدأ الجندي بركل البيض بقدمه بصورة جنونية قائلاً :«فتح حتى في البيض، فتح .. فتح». وقفت فاطمة على قدميها بينما كانت تحاول حماية البيض من تحت أقدام الجندي المجنون، وهي تردد بذهول «بناطيل الأولاد ... فساتين البنات!»

١١. فتح تعني البداية في اللغة لكنها أيضا تشير الى واحدة من الفصائل الفلسطينية الرئيسة المقاومة والتي تشكل جزءا من تركيبة منظمة التحرير الفلسطينية.

المكتبات تنخرط في تعزيز القدرات التعبيرية

في المكتبتين اللتين يرعاهما مكتب إيبي/ فرع فلسطين كتب الصغار أيضا قصصاً مؤثرة جداً، عكست قدرة الأطفال العالية على التعبير عن مشاعرهم الرافضة للحرب، وأحلامهم بعالم تسود فيه قيم العدالة والسلام. انعكست تعبيراتهم في جمل قصيرة، وعناوين محددة مثل: «لن أنام كي لا أحلم» (رنا البسيوني)، «أليس من حقي أن أعيش سعيدة؟» (أمل الهسّي)، «لقد قتلوا كل شيء نحبه» (ليس عودة)، «لماذا يقهروننا؟» (يسرى البسيوني)، «نحن الصغار نكره الحرب ونكره من يحبون القتل والتدمير» (إسراء سحويل).

وفيما يلي أحد هذه النماذج:

« النار والغبار»

كتبها علاء حسّان، (18) سنة، مكتبة إيبي في غزة (غير منشورة)

قصتنا الأخيرة هذه تصف بشاعة الحرب، وخوف طفلة تنتظر عودة والديها اللذين حاصرتهما نيران الحرب.

«كانت أمي تعمل في غزة كعادتها، ولأول مرة في حياتي وجدت نفسي في رعب من أن أصبح مثل أولئك الذين كتب عليهم أن يفقدوا من يحبون. سرى الخوف في أوصالي لمجرد التفكير باحتمال فقدان أمي. لطالما سمعت أصوات القصف، وإطلاق النار البشعة، لكني لم أظن يوما بأن هذه الأصوات ستؤدي بي إلى عدم رؤية أمي. نبضات قلبي ترفض الاستماع لي، وتصرّ على الخفقان بسرعة عالية تفوق سرعة الحصان العربي الأصيل، مرّت ساعات من القصف الشديد ومن القلق ومن الانتظار، وأمي ماتزال بعيدة عن أنظارنا، القذائف تنطلق من كل زاوية، تقتل هنا وتجرح هناك، وفي ظلمة الانتظار الحالكة وصلت أمي وأضاءت في داخلي نوراً جميلاً...»

خاتمة

القصص الجيدة التي يكتبها الأطفال هي مادة ممتعة للقراءة، إضافة إلى كونها تشكل جزءاً من التاريخ الاجتماعي، ومرآة للنضال الهادف الى التغيير الاجتماعي، كما أنها تساهم حقيقة في تعزيز، وتمكين الأطفال من خلال النهوض بقدراتهم للتعبير عن النفس؛ فالأطفال في أرجاء العالم يقعون ضحايا للعنف والحروب، ومثل هذه البرامج يمكنها تقديم أدوات لهم تساعدهم في مواجهة المصاعب وتجاوزها. كرمل ابنة الحادية والعشرين كانت واحدة ممن شاركوا في تجربة كتابي الأول قبل (١٠) سنوات، وتصف كرمل تجربتها حين ذاك بالقول:«أشعر بالفخر لكوني واحدة من أطفال مؤسسة تامر التي علمتني أن بإمكاني التحليق بأفكاري إلى أعالي السماء، ودفعتني للإيمان بأن لا حدود ولا حواجز تستطيع أن تقف في وجه الحقيقة، وفي وجه الإبداع ، كما علمتني بأن كسر هذه الحواجز ممكن، وبأنني قادرة على النمو والارتقاء كما تنبت الزهرة بين الصخور».

إصدارات

عادات القراءة والمطالعة عند الأطفال من سن (١٠-١٨) سنة في المجتمع الفلسطيني

صدر عن مؤسسة تامر عام (٢٠١١) بحث جديد بعنوان «عادات القراءة والمطالعة عند الأطفال من سن ١٠-١٨ سنة في المجتمع الفلسطيني»، والذي أعدّه فريق البحث في مركز دراسات التنمية في جامعة بيرزيت.

يحاول البحث حصر عادات القراءة في المجتمع الفلسطيني، في مسعى لفحص توجهات الأطفال في القراءة ونوعية قراءاتهم، مدى مشاركتهم في النشاطات الثقافية، كما يسعى لإجمال، وتفحص دور الأهل، والمدرسة في ذلك، ومستوى حضورهم ومشاركتهم، إضافة لنظرة الأطفال للمدرسة، وللنشاطات الثقافية، وفحص مصادر المطالعة ونوعيتها وطبيعتها، ودور المؤسسات في عادة القراءة والمطالعة.

ظهرت،على أثر المسح الميداني، الكثير من النتائج المثيرة للاهتمام، من خلال تحليل النتائج، والمعطيات والاحصائيات اللاحقة لها، والتي أجراها فريق البحث على عيّنة عشوائية تشمل محافظات الضفة الغربية وغزة، من كافة الأعمار والفئات الاجتماعية، كما تشمل الأطراف المعنية من أطفال ومؤسسات

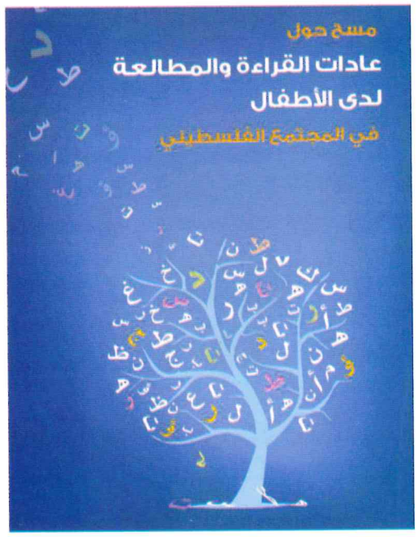

ومدارس، وقد بينت تلك النتائج أن ثلث الأطفال الفلسطينيين يقضون أوقات فراغهم في استخدام الكمبيوتر والانترنت، ونسبة مماثلة يشاركون في الأنشطة الثقافية المختلفة، فيما (٦٪) من الأطفال الفلسطينيين يقضون أوقات فراغهم في المطالعة

والقراءة، كما تبين أن (٥٥٪) من الأطفال يحتاجون من ساعة إلى ساعتين يومياً للدراسة و(٣١٪) يحتاجون أكثر من ساعتين.

ظهر من نتائج البحث، أيضاً، أن (٦٤٪) من الأطفال يشاركون في الأنشطة الثقافية من خلال المدرسة، بينما المشاركة في النشاطات الثقافية من خلال مكتبات عامة يصل إلى (١٩٪) بالضفة و(٣٪) في غزة. ومن حيث مشاركة الأطفال في الأنشطة الثقافية كممارسة فقد تبين أن نسبة المشاركة في ممارسة أنشطة ثقافية تتعلق بالقراءة والكتابة كانت (٥٠٪) في الضفة الغربية مقارنة بـ (٥٧٪) في قطاع غزة، كما بلغت نسبة ممارسة الرسم والنحت (٣٩٪) في الضفة الغربية و(٥٢٪) في قطاع غزة، فيما نسبة ممارسي الرقص والدبكة فقد بلغت (٤٠٪) في الضفة الغربية و(٢٦٪) في قطاع غزة.

بموازاة ذلك تبين أن (٣٦٪) من الأطفال شاركوا، في واحد من النشاطات أو أكثر، لأكثر من ثلاث مرات، بينما (٥٠٪) من الأطفال شاركوا لمرة أو مرتين، و(١٣٪) لم يشاركوا في أنشطة ثقافية خلال الفترة ذاتها.

بلغت نسبة الأطفال الذين يقرؤون كتباً باختلاف أنواعها، غير مقرراتهم المدرسية، (٥٤٪)، حيث يُعتمد على الكتاب كأكثر مصادر المطالعة أهمية (٥٩٪)، فيما يفضل الأطفال المغامرات والخيال العلمي (١٩٪)، ثم القصص عن الحيوانات (١٨٪)، وثالثاً المواضيع الدينية (١٦٪).

بخصوص الأهل وتشجيعهم، أفاد غالبية الأطفال الذين يطالعون أن أسرهم تشجعهم على المطالعة بنسبة (٧١٪)، في حين أفاد (٣٨٪) من الأطفال بتوافر مكتبة منزلية، أو مكان مخصص للكتب في بيوتهم. ومن حيث قرب المكتبة فقد أفاد (٢٨٪) من الأطفال بوجود مكتبة قريبة.

في إطار التوصيات، سعى فريق البحث إلى تجميع التوصيات من المشاركين في الورشة، حيث قدم الأطفال العديد من التوصيات؛ كضرورة قيام الأهل بتعزيز عادة المطالعة، أو كتعليم القراءة والكتابة من خلال القصص وكتب الأطفال؛ لأنها أكثر متعة وتشويقاً، أو منح مكافآت وهدايا كآلية تحفيز على القراءة، وتعليم الرسم، وتطوير الوسائل المساعدة، وتوفير أجهزة حاسوب للبيت والمدرسة.

كما جاءت توصيات من الأُسر المشاركة في البحث كتعزيز دور المدرسة في حث الأطفال على المطالعة الخارجية، وتوفير مكتبات خاصة بالأطفال في كل منطقة، إضافة لتخفيف الأعباء المدرسية على الأطفال، وتوفير أماكن ترفيهية للأطفال الذكور والإناث مع مراعاة خصوصية كل منطقة.

أما المؤسسات بدورها فقد جاءت توصياتها متعددة ومتنوعة؛ إذ أوصت بضرورة إعادة النظر في المناهج المُعدة من قبل وزارة التربية والتعليم، وضرورة التركيز على الكيف وليس الكم، كما أوصت بضرور التنسيق بين المؤسسات المختصة بالأطفال، وبين المكتبات والمدارس، إضافة لبناء تواصل مع الأهل، من خلال مجلس الآباء والأمهات، والتركيز على أهمية القراءة على أجندة الاجتماعات الدورية ومخاطر الانترنت على الأطفال، وتعزيز ثقافة التوجه للمكتبة، سواء للأطفال أو لطلبة الجامعات، ولمفهوم المكتبة كمرجع علمي صالح على حساب الانترنت، إضافة لتوفير كتب الأطفال بأسعار جيدة بحيث تكون متاحة للجميع من خلال أسعار وآلية توزيع ناجعة.

كما أوصى البحث بآليات تعزيز عادة المطالعة في الأسرة؛ كقيام أفراد الأسرة الكبار أنفسهم بالقراءة، وغرس أنماط من السلوكيات لدى الطفل كالقراءة الشفهية له، وربط الفعاليات الترفيهية بمعلومات علمية وتربوية، إضافة لأهمية توفير مكتبة في المنزل.

أشار البحث أيضاً إلى دور المدرسة الحيوي في تنمية عادة المطالعة، موصياً بتبني سياسات تقلل من الأعباء المدرسية مقابل تعميق مضمون المنهاج، بحيث يكون محفزاً على التفكير على حساب التلقين، كما يدعو إلى تخصيص عدد معين من الساعات شهرياً للمطالعة داخل المدرسة، وربط الأنشطة اللامنهجية بالمطالعة، وإبداع أنشطة ترفيهية تعمق رغبة الأطفال في البحث، وبالتالي فهذا يتطلب تعزيزاً لدور المكتبة المدرسية وتنشيطها من جهة، وتنشيط العلاقة بين الأسرة والمدارس من جهة أخرى.

في إطار إنتاج كتب الأطفال، أوصى البحث بضرورة دعم إنتاج كتب الأطفال، وتشجيع الترجمة الموجهة في هذا الإطار من لغات أخرى، وضرورة وجود لجنة من التربويين والمؤسسات الأهلية للاطلاع على مضامين هذه الكتب، إضافة لانتاج الكتب بمستوى إخراج يتناسب والفئات العمرية.

يُذكر أن البحث أصدرته مؤسسة تامر في إطار مشروعها الساعي لتشجيع القراءة في المجتمع الفلسطيني، ويأتي البحث في مسعى لتشخيص الواقع، ورصد المعطيات؛ بهدف الاستفادة من النتائج في تطوير رؤى ومنهجيات تكون قادرة على تجاوز مواقع القصور والنهوض بالمجتمع الفلسطيني.

صدر، عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، بحث جديد بعنوان «أول المطر» كتابات أطفال فلسطين بين الأعوام

(١٩٩٦ – ٢٠٠٩)، قراءة في المضامين، للدكتور إبراهيم أبو هشهش.

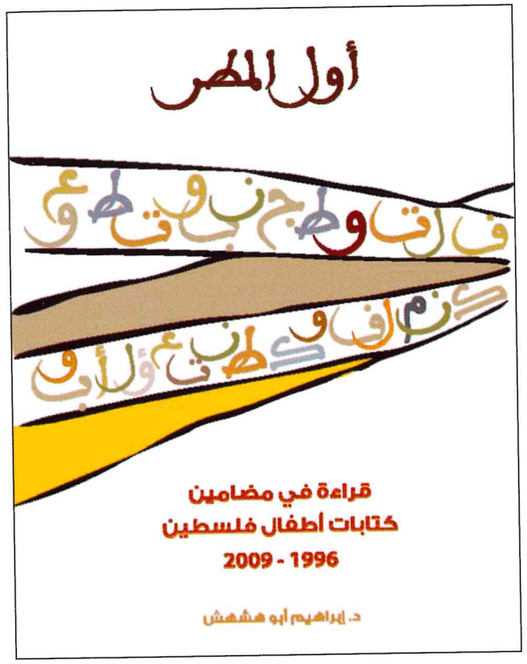

تناول البحث تحليل نصوص وكتابات الأطفال المنشورة ضمن مشروع « كتابي الأول » من حيث المضامين بما تحويه من موضوعات تُشكل الحيز الشاغل للخيال الفلسطيني، والأسئلة الكبرى كالنكبة والشتات والانتفاضة، دون نفي الواقع وما يحويه من موضوعات تربوية، واجتماعية وإنسانية وبيئية.

ووفق هذا التحليل فقد برزت الموضوعات الكبرى التي تشغل الأطفال الكتاب، حيث عكست بدورها المناخ الطفولي كسيرة الطفولة الأولى، وعالم الطفل البهيج، بموازاة الموضوعات الفلسطينية؛ النكبة، والعودة من الشتات، والانتفاضة الثانية، إضافة لموضوعات حياتية أخرى كالإعاقة والبيئة وغيرها.

أشار الباحث، وفي غمار تحليله لمضامين قصص ونصوص أطفال فلسطينيين، إلى عدة استنتاجات منها الطاقة الابداعية المُلفتة للطفل الفلسطيني، ومقدار ازدهارها في أجواء الحياة الآمنة حين يزول الخوف، والتوتر، والقلق يتفتح الابداع الطفولي، وهو ما يعكسه الفارق بين قصص أطفال غزة، وقصص أطفال الناصرة والقدس وبيت لحم.

كما وتشير النتائج التي توصل إليها الباحث إلى أن حب الوطن، والانتماء للأرض، والقضية، قيم أساسية في معظم قصص الأطفال الفلسطينيين، كما أن صدمة فقد الأهل والأقارب، هي من أكثر التجارب الوجدانية تأثيراً في سيكولوجية الأطفال، لكن في مقابلها فإن قدرة الشفاء منها قوية.

يرى الباحث في استنتاجاته أن وعي الأطفال لا يقل، في تناوله للأمور، عن وعي الكبار، لكنه أكثر براءة في نظرته للعالم، كما تحمل القصص الرغبة في الحياة، والانفتاح على العالم، والشعور بالسعادة في حياة عادية.

وعليه يوصي الباحث أيضاً بضرورة العمل، والبحث في هذه النصوص؛ كونها توفر مادة وثائقية هامة عن عالم الطفل، وتفكيره، ورؤيته للواقع والأشياء بحيث يمكن أن تكون مرجعاً جيداً للكتاب في مجال أدب الأطفال.

من الجدير ذكره أن تجربة «كتابي الأول» هو مشروع أطلقته مؤسسة تامر في العام (١٩٩٦) حيث أُعلن عن هذه المسابقة للمرة الأولى خلال أسبوع القراءة الوطني، والذي يهدف إلى إشراك أطفال فلسطين في العملية الانتاجية الابداعية، من خلال تقديم نصوصهم، والتي بدورها تُحول إلى لجنة خاصة من الكتاب والمهتمين بأدب الأطفال، والتي تقوم بالإعلان عن النصوص المختارة، ثم تحول قصصهم إلى مجموعات من الأطفال ليقوموا برسمها، وبعد أن يتم اختيار الرسومات الأنسب، ترفق مجموعة النصوص مع مجموعة الرسومات ليتم نشرها، وعادة ما تقوم المؤسسة بطباعة (١٥٠٠ – ٢٠٠٠) نسخة، ثم يوزع مجاناً في المدارس، كما أنه يُباع في معارض الكتب العربية والدولة التي تشارك فيها المؤسسة على مدار العام.

صدر حديثاً عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي

مختار أبو دنين كبار

تأليف : سونيا نَمَر وسعاد ناجي

رسومات: عبد الله قواريق

قصة تحكي عن الطفل الموهوب مختار، والذي كان ذكياً ونشيطاً، كما أنه عازف عود بارع، ورغم ذلك يبقى مختار حزيناً؛ لأن أذناه كبيرتان، وبالتالي فكثيراً ما كان يتعرض لمضايقات أولاد حارته، ورغم محاولاته لتغطيتة أذنية إلا أنه يفشل في ذلك، لكن القرية لاحقاً ستعرف قيمة مختار، وأهميته وسوف لن يضايقه أحدٌ بعدها.

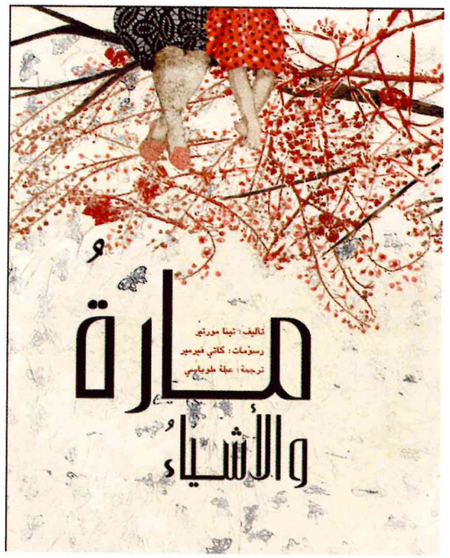

مارة والأشياء

تأليف: تينا مورتير

رسومات: كاتي فيرمير

ترجمة: عبلة طوباسي

هي قصة مارة الصغيرة، الطفلة التي كانت تربطها بجدتها علاقة صداقة متينة، فتخوض معها صراعات عديدة، متحدية الموت والمرض، والصعاب، قصة مشوقة تحكي قدرة الإنسان على تجاوز العقبات، وأن يصنع الابتسامة ويفرح الآخرين مهما كان صغيراً.

زَلُّوطَة

تأليف: سونيا نمر وسعاد ناجي

رسومات: منار نعيرات

زلوطة هي ذبابة صغيرة، تعيش بين الفضلات، وتبدأ مشكلتها في أن ذبابة زرقاء تحتل موقعها، لتستنجد بزميلاتها، لكنها ستكتشف لاحقاً أنها جلبت السوء لحياتها، فكيف جرى ذلك، وأية نهاية بانتظارها؟

شعشبون

تأليف: زكريا محمد

رسومات: نادين صيداني

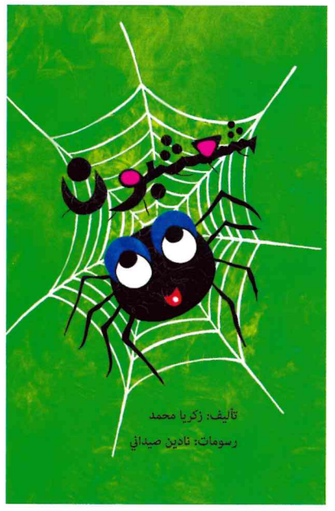

تحكي القصة عُن عنكبوت صغيرة يُدعى شعشبون، الذي يبدأ مغامراته في الصيد لأول مرة، لكنه يقرر أن يصطاد حيواناتٍ كبيرة، لكنه يفهم لاحقاً بعد سلسلة من الاخفاقات أنه يتوجب عليه أن يقنع بالحشرات فقط، وهو ما ينجح فيه بعد أن كرر المحاولات.

طيف – العدد الثامن عشر :

نشرة نصف سنوية تصدر عن مركز موارد أدب الأطفال في مؤسسة تامر

يراعات :

صدر العددين(٥٣٧ و ٥٣٦) من «يراعات

وهي مجلة أدبية تصدر كل شهرين مع جريدة الأيام، يعدها فريق يراعات في مؤسسة تامر.

كتابي الأول (٢٠١١)

تأليف: مجموعة أطفال من فلسطين.

رسومات: مجموعة أطفال من فلسطين

كتابي الأول مجموعة قصص كتبها ورسمها أطفال مبدعون من فلسطين، تحدثوا فيها عن الأمل والوطن وحبهما للحيوانات والزهور، وعن ضحى والقمر، وعن لمياء التي تتحدى إعاقتها لتُطيّر طائرة ورقية، وغيرها من الحكايات.

كتابي الأول إصدار سنوي عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، يمثل فسحة للإبداع والخيال لأطفال فلسطين في كل مكان.

الاطارة المجنونة

تاليف: جبرا ابراهيم جبرا

إعداد: سامح عبوشي

رسومات: يارا بامية

تمت ملائمة هذه القصة بتصرف عن كتاب جبرا إبراهيم جبرا «البئر الاولى» والذي يعايش تجربة طفولته في بيت لحم عام ١٩٣٠. يحاول جبرا مساعدة ابيه بنقل اطارة لاحدى السيارات ولكن هذه الاطارة مجنونة فهي تطير وتطير وجبرا يجري وراءها – فهل سيستطيع اللحاق بها؟ وهل ستتوقف الاطارة في مكان ما ؟

مريول المدرسة

تأليف: عبلة طوباسي

رسومات: حسني رضوان

تحلم بطلة القصة بمريول الصف الاول تلبسه للمدرسة، فتفرح كثيرا حين تشتريه لها امها وتخيط عليه الخرز وتكوي لها قبته البيضاء المزركة. ولكن فرحتها لا تدوم طويلا ، في ليلة من الليالي يقتحم الجيش المنطقة ويجتاح منزلها، يدمرون ويخربون كل ما في المنزل، اثاث واكل حتى المريول، فماذا تفعل البطلة و امها؟.

رحلة الطير الجميل

تأليف: ليانا بدر

رسومات: ديما أبو الحاج

صدر الكتاب بالتعاون مع وزارة السياحة والآثار الفلسطينية

تحكي القصة عن حسن وليلى، وتتبعهما حين يخوضا مغامرت عديدة في أريحا فرحين بين اثارها العريقة. يتنقل حسن وليلى معا في مغامرة تجمعهما لمعرفة السر وراء تسمية مالك الحزين بهذا الاسم. فماذا تخبئ لهما اريحا؟ وما هو سر مالك الحزين يا ترى؟.

سنا واميرة الحمام

تأليف: مصطفى عبد الفتاح

رسومات: احمد الخالدي

صدر الكتاب بالتعاون مع وزارة السياحة والآثار الفلسطينية

تطلب معلمة التاريخ من سنا وصديقاتها كتابة تقرير عن أريحا، وفي تلك الليلة تزور أميرة الحمام سنا وتأخذها في رحلة إلى أريحا، هذه المدينة القديمة لتكتشف سنا تاريخها و حزنها وفرحها.

قرية و قمر مستدير

تاليف: اياد مداح.

رسومات:ايمان السعدي.

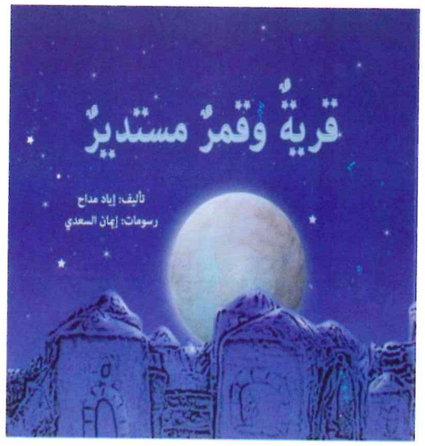

حين يكبر قمر القرية و يستدير تتحول ريم الى اميرة تحقق الاحلام، ذات ليلة تجول ريم في القرية و عندها تجد حلم ليان، والذي يرغب ان يفرح صديقه يمام يوم عيده بهدية مميزة.

الطائر الاحمر

تاليف: استريد ليندجرين

رسومات: ماريت تورنكفيست

ترجمة: مايا ابو الحيات

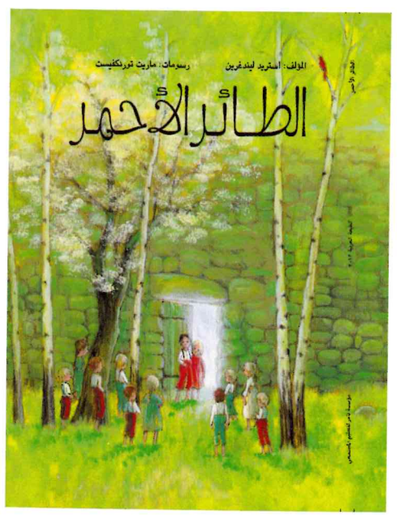

ينتقل الطفلان آنا وماثيو إلى قرية مايرا بعد موت والديهما، ليعيشا مع فابيو المزارع، وهنالك يواجهان الجوع والبرد والعمل المضني إلى أن يلحقا بطائر أحمر عبر الجبال المليئة بالثلج ليصلا إلى سني ميد بلاد النور والشمس والامل.

مستنقع الزنابق

تأليف: هبة سلامة

رسومات: عبير الخطيب

صباح أحد الايـام، استيقظ السيد الضفدع غاضباً ومنزعج، فقد انتقلت الى الحي عائلة جديدة مع طفلها الصغير المزعج. منذ ذلك الحين والسيد الضفدع حائر، لا ينام ولا يرتاح! ماذا سيفعل السيد ضفدع؟ هل سيدع الطفل المزعج وشأنه أم أنه سيحاول اخافته بكل الطرق الممكنة؟.

قصة قبل النوم

تأليف: مايا أبو الحيات

رسومات: لبنى طه

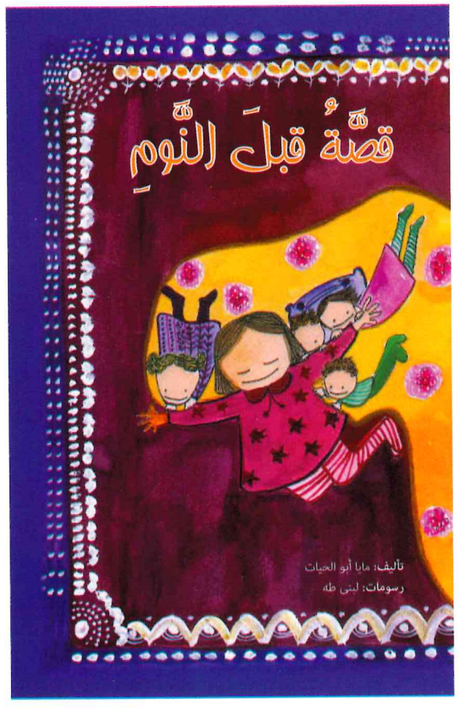

تحكي هذه القصة عن منال، الفتاة الكفيفة، التي ورغم إعاقتها تتحول إلى مثالٍ أعلى لأُخوتها، بحيث تمنحهم الحب والسعادة؛ حيث تجمعهم كلَّ مساء لتحكي لهم قصصاً ممتعة، وحكايات شيقة ينتظرونها بفارغ الصبر، قصة مفعمة بالإنسانية تبتعد عن الخطاب والوعظ لتقترب من التصوير والعرض.

إصدارات مركز أوغاريت الثقافي

نوّار صاحب الحكايات

تأليف: مجموعة من الأطفال

بإشراف محمود ماضي.

رسوم: لبنى طه

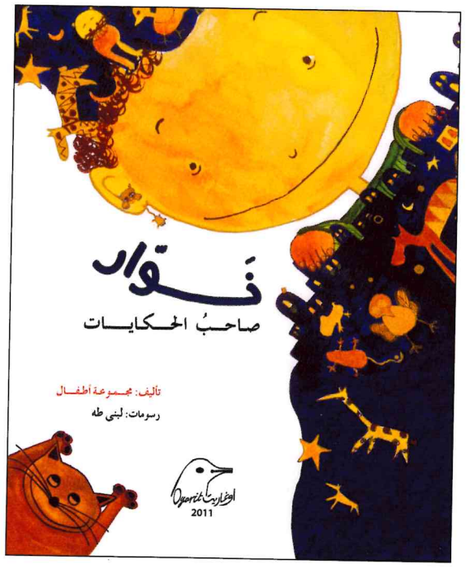

يلتقي عدد من الأطفال في حالة لعب، يتوصلون من خلال ذلك إلى شخصية خيالية مركبة من مزيج إنسانيّ وحيوانيّ، وتكون قادرة على المغامرات الإيجابية، وعلى رواية هذه المغامرات، بعد ذلك، على شكل حكايات تحمل حكما تربوية للأطفال، حول القراءة، والتعاون، والاهتمام بالبيئة والرياضة وغير ذلك.

العطلة الأسبوعية

تأليف: إيمان بصير

رسوم: عبير الخطيب

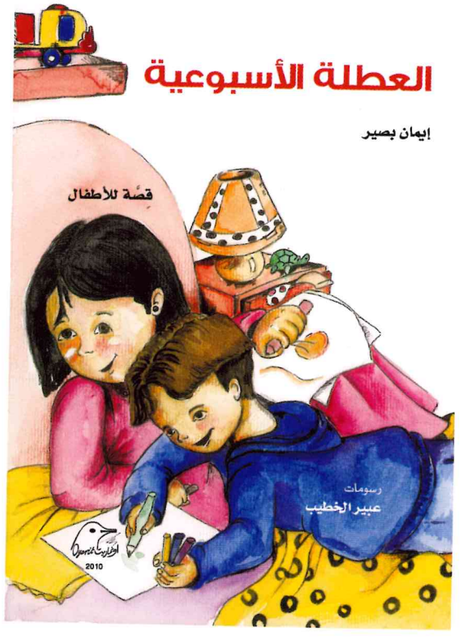

في يوم العطلة الأسبوعية لا يذهب الوالدان إلى العمل، ولا يذهب الصبي ولا أخته إلى المدرسة. يستغل الصبيّ صباح اليوم لتغيير ما تعوّد عليه كلّ صباح، بأن يقلب الفراش الذي ينام عليه. وحين تلاحظ أخته ذلك، تحول معه الوضع إلى نوع من اللعب الذي يثير استغراب الوالدين، لكنهما بدلا من أن يلوما الطفلين يشاركانهما اللعب، ليستمتع الجميع بعطلة أسبعية مختلفة.

الهدية

تأليف: دانا أبو حمود

رسوم: سامي زعرور

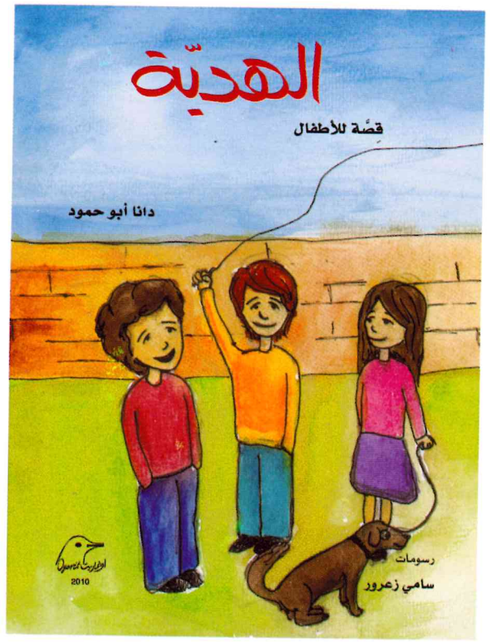

كان الطفل وصديقته لا يحبان اللعب مع جارهما؛ لأنه يضربهما لأي سبب، وعندما رآهما يلعبان معا، أراد أن يشاركهما؛ فاشترطا عليه أن يلتزم بشروط اللعب. لكن الطفل الشرس لم يفعل، واتهم جاره بالغش، وضربه، ومزّق له طائرته الورقية، وعندما سمع جاره يدعو صديقته إلى عيد ميلاده، حزن كثيرا، وحاول أن يتقرّب منهما، فحمل هدية العيد إلى جاره، هي طائرة ملوّنة، بدلا من تلك التي مزّقها.

حين اختفى وجه هند

تأليف: هاني السالمي

رسوم: بشار زعرور

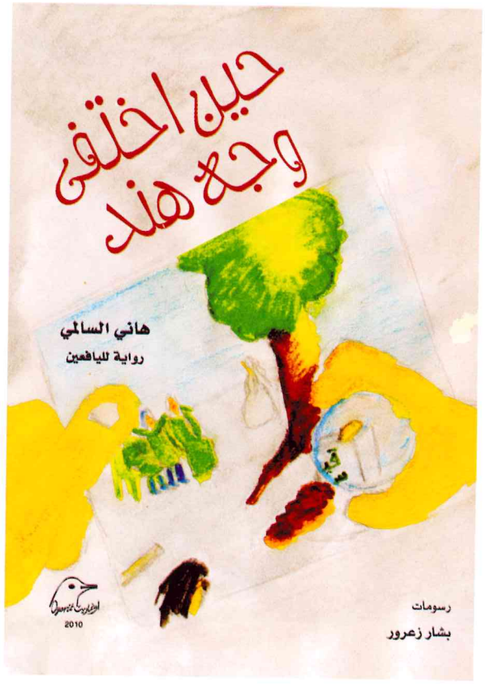

متأثرة بما يرسمه والدها، وخصوصا صورة والده التي أتعبته كثيرا، وصورة والدته التي رسمها بسرعة، عاشت الفتاة مجموعة من التخيلات التي أشعرتها بأنها فقدت وجهها، واستبدلته بوجه جدّتها، كما هو في صورة معلّقة على الجدار. وقامت الفتاة بالبحث عن وجهها من أجل استعادته عن طريق كثير من المغامرات الخيالية التي تروي من خلالها قصة جديها، كما سبق لها أن سمعتها من مصادر عديدة.

مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي
Tamer Institute For Community Education

ISBN 978-9950-26-001-6